سلسلة بحوث منهجية في الدراسات القرآنية

4

# نظرات في آية محمد رسول الله

دراسة تحليلية مقارنة

تأليف

أ.د. عادل بن علي الشدي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن. جامعة الملك سعود

مدار الوطن للنشر

www.madaralwatan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

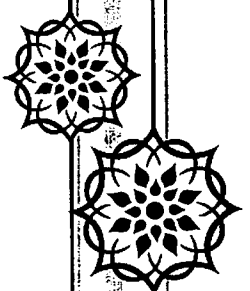

مدار الوطن للنشر

الدائري الشرقي - مخرج ١٥

الرياض - الملز - ٢كم غرب أسواق المجد

ت : ٤٧٩٢٠٤٢ ( ٥ خطوط ) فاكس : ٤٧٢٣٩٤١

الموقع على الإنترنت : www.madaralwatan.com

البريد الإلكتروني : pop@madaralwatan.com

## مقدمة

الحمد لله على عظيم نعمه وجليل مننه والصلاة والسلام على الرحمة المهداة النعمة المسداة خيرة خلق الله نبينا وقدوتنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد:

فلقد امتن الله علينا بمبعث رسولنا محمد ﷺ فقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤].

وأثنى جلّ في علاه على خاتم أنبيائه ورسله في مواضع متعددة من كتابه فوصفه بأنه على ﴿خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، وبأنه ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

ومن أعظم الآيات التي أثنى فيها الله عز وجل على نبيه ﷺ قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩]، وقد كانت تراودني الرغبة في دراسة هذه الآية دراسة تحليلية مقارنة، وتتبع هداياتها وبيان مقاصدها وتقريب معانيها، وجمع ما تفرق من كلام أهل التفسير عنها، لا سيما وقد حفلت إضافة إلى الثناء على خاتم الأنبياء ببيان مكانة أصحابه ومنزلتهم، وأشارت إلى ما ورد في التوراة والإنجيل قبل تحريفهما من أوصاف محددة لهم؛ آخذًا في الاعتبار مواقف بعض الفرق من هذه الآية وتفسيرهم لها بما يوافق مذاهبهم، وأقوال أهل اللغة في معاني ألفاظها وإعرابها وبلاغتها، مما يزيد من فائدة المتخصصين عند دراستها.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة:

- **المقدمة:** في بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- **تمهيد:** في الأحداث الجارية قبيل نزول سورة الفتح.
- **المبحث الأول:** تفسير عام لمعنى الآية.
- **المبحث الثاني:** أقوال أئمة التفسير في الآية.
- **المبحث الثالث:** القراءات في الآية.
- **المبحث الرابع:** اللغة في الآية.
- **المبحث الخامس:** أقوال مفسري بعض الفرق عرض ونقد.
- **الخاتمة:**

أسأل الله أن يستعملني وإخواني الباحثين لخدمة كتابه الكريم وتقريب هداياته لعباده المؤمنين وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه، نافعة لخلقه، صوابًا على سنة نبيه، وبالله التوفيق، وعليه التكلان وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

***

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# تمهيد

في الأحداث الجارية قبيل نزول سورة الفتح رأى رسول الله ﷺ في النوم أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين، محلقين رؤوسهم ومقصرين، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا.

فخرج رسول الله ﷺ في ذي القَعدة من السنة السادسة في ألف وخمسمائة من المهاجرين والأنصار ومن دخل في الإسلام من الأعراب، خرج من المدينة متوجهًا بأصحابه إلى مكة لأداء العمرة، لا يريد حربًا، وساق هو وأصحابه البدن تعظيمًا للبيت، ولم يكن معهم سلاح إلا سلاح المسافر، السيوف في القرب[1].

وسار ﷺ، فلما وصل إلى «عسفان»[2] لقيه بشر بن سفيان الكعبي فأخبره بأن قريشًا قد عزمت على الحرب وصدّه ﷺ عن البيت فلا يدخله عنوة أبدًا.

فاستشار النبيُّ ﷺ أصحابه، فمنهم من أشار بالحرب والقتال، وأشار الصديق بترك القتال والاستمرار في التأكيد على أنهم لم يأتوا للقتال، وإنما جاؤوا لزيارة البيت، ولا يحقُّ لأحدٍ صدهم عنه، فإن بدءوا بالقتال دافعوا عن أنفسهم، فاستحسن النبيّ ﷺ هذا الرأي.

---

(١) انظر الوفا بأحوال المصطفى (١/ ٧١٦، ٧١٧).

(٢) عسفان: بلدة على ٨٠ كيلًا من مكة شمالًا على الجادة إلى المدينة. انظر معجم البلدان للحموي (٤/ ١٢١).

وتجنبًا للصدام مع المشركين أشار النبيُّ ﷺ على أصحابه بأن يسلكوا طريقًا آخر غير طريق المشركين، فسلك بهم رجل من أسلم طريقًا وعرًا بين الشعاب، ثم خرج بهم إلى مستوٍ سهلٍ يملك مكة من أسفلها. فلما رأى خالد بن الوليد ما فعل المسلمون، رجع إلى قريشٍ وأخبرهم الخبر[١].

وفي ثنية المرار بركت ناقة رسول الله ﷺ، فقالوا: خلأت[٢] القصواء، فقال ﷺ: «**ما خلأت القصواء وما ذلك لها بخلق، ولكن حبسها حابسُ الفيل**»[٣]، وعند ذلك عزم رسول الله ﷺ على قبول أي خُطّة تحقن بها الدماء، وتعظم بها حرمات الله.

ثم بعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان ليؤكد لهم الغرض من مجيء الرسول ﷺ وصحابته، وأبطأ عثمان، فأشيع بين المسلمين أنه قد قتل، فعزم رسول الله ﷺ على مناجزة القوم، ودعا المسلمين إلى البيعة على الجهاد والشهادة في سبيل الله، فبايعوه تحت شجرة، وسميت هذه البيعة ببيعة الرضوان.

ولـمّا علمت قريش بأمر البيعة، خافوا ورأوا الصلح معه، على أن يرجع هذا العام ويعود من قابل، فيقيم ثلاثًا معه سلاح الراكب، وأرسلت قريش لذلك سهيل بن عمروٍ لإتمام بنود هذا الصلح[٤].

---

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين (ص:١٥٩).

(٢) خلأت: بركت من غير علة، ولم تبرح مكانها.

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٨١) كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب.

(٤) السيرة النبوية دروس وعبر (ص:١٠٩، ١١٠).

فجاء سهيل فقال: اكتب بيننا وبينكم كتابًا، فدعا النبي ﷺ الكاتب فقال: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم» فاعترض سهيل وقال: أما الرحمن، فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب «باسمك اللهم» فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم. فقال النبيُّ ﷺ: «اكتب باسمك اللهم». ثم قال: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله» فقال سهيل: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله. فقال النبيُّ ﷺ: «والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله»[1] ثم اتفق الفريقان على شروط الصلح[2]، وقد اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأوا فيه تنازلًا كبيرًا، وإقرارًا بالضعف أمام المشركين. وكان عمر بن الخطاب من أكابر الكارهين لهذا الصلح، وقد أتى إلى النبيّ ﷺ ليُثْنِيَه عنه فلم يفلح، ثم أتى إلى أبي بكرٍ فكلّمه، فردَّ عليه بمثل ما ردَّ عليه رسول الله ﷺ.

وبلغ من صعوبة أمر هذا الصلح على الصحابة رضوان الله عليهم، أنه بعد فراغ النبيّ ﷺ من قضية الكتاب قال لهم: «**قوموا فانحروا ثم احلقوا**» فلم يقم منهم أحد، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلم يقم منهم أحد، فدخل النبي ﷺ على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبيَّ الله! أتحبُّ ذلك؟ أخرج ثم لا تكلّم أحدًا منهم كلمةً، حتى تنحر بدنك، وتدعُوَ حالِقَك فيحلِقَك. فخرج فلم يكلّم أحدًا منهم، حتى

(١) أخرجه البخاري (٢٥٨١) كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب.

(٢) انظر شروط هذا الصلح والمكاسب التي حققها النبيُّ ﷺ من ورائه في «السيرة النبوية» للدكتور محمد أبو شهبة (ص:٣٣٣ - ٣٤٠).

فعل ذلك، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غما[1].

## نزول سورة الفتح:

وفي وسط هذا الجوّ المشحون، والهم والغم الذي كاد يقتل فرسان الإسلام، والتساؤلات الكثيرة التي حارت في الإجابة عنها عقولهم، وبينما هم في طريق العودة نزلت سورة الفتح؛ لتضع النقاطَ على الحروف، وتجيب على تلك الأسئلة التي لم يجدوا لها جوابًا شافيًا، وتبين صواب رأي النبي ﷺ، وبُعْدَ نظره، ودقةَ موازنته بين المصالح والمفاسد في هذه القضية، فأبان القرآن أن هذا الصلح إنما هو فتح جديد، ونصر مبين للمسلمين على أعداء الله ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح:١-٣].

ومدح الله الذين بايعوا رسوله ﷺ، وثبتوا معه، ووفوا له بالوعد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:١٠].

ثم بين تخلف الأعراب وفضح أعذارهم، ورفع الحرج عن أصحاب الأعذار الحقيقية، ثم بين فضائل أصحاب الشجرة: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ

---

(١) الحديث السابق نفسه.

وانظر قصة الحديبية في زاد المعاد (٣/ ٢٨٦)، والسيرة الحلبية (٢/ ٦٨٨ - ٧٢٦)، ومختصر سيرة الرسول ﷺ (ص:١٧٧)، والرحيق المختوم (ص:٣٢٩)، وروضة الأنوار (ص:١٥٦)، ولباب الخيار (ص:٨١ - ٨٤).

وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح:١٨].

ثم بين تعالى حكمته في منع القتال وكف الأيدي، فإن هناك رجالًا ونساءً مؤمنين ومؤمنات بين ظهراني الكفار، لا يعلم بهم المسلمون، فلو أبيح القتال والحال هكذا لقتل هؤلاء بأيدي إخوانهم دون أن يشعروا، ولَلَحِقَ المسلمين بسبب ذلك الأذى والمعرة: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح:٢٥].

ثم ذكر الله المؤمنين بموقف الكافرين أثناء الصلح، إذ أخذتهم العزة بالإثم، وأعمتْهم حمية الجاهلية، فأبوا أن يقروا بأن الله هو الرحمن، وأن محمدًا رسول الله ﷺ، ولكن الله ثبت رسوله ﷺ وأنزل عليه الصبر والسكينة، وكذلك أنزل سكينته على المؤمنين ليطيعوه على الرغم من كراهتهم هذا الصلح، ليتم الله هذا الأمر، وليجني المسلمون ثماره بعد ذلك: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الفتح:٢٦].

ثم أخبر تعالى أن هذه الرؤيا التي رآها رسول الله ﷺ رؤيا حق، وليست أضغاثَ أحلام، غير أن تحقيقها عمليًّا لن يكون في هذا العام، بل في الذي يليه كما جاء في الصلح: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ

لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:٢٧].

ولما أخبر سبحانه بهذه الأمور الجليلة الدقيقة المبنية على إحاطة العلم، بين سبحانه أنه إنما يفعل ذلك تمهيدًا لنصرة هذا الدين وهذا النبي: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح:٢٨]، ثم ختم الله السورة بتعيين هذا الرسول وتصديقه في رسالته، وتسفيه رأي من كذبوه وأبوا أن يكتبوا «محمد رسول الله»، مع بيان فضائله، وفضائل أصحابه، وأنهم جميعًا مذكورون في التوراة والإنجيل بأوصافهم التي عرفوا بها: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:٢٩].

***

## المبحث الأول:

### تفسير عام لمعنى الآية

▪ **قوله تعالى:** ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ إخبار من الله تعالى بأن محمدًا ﷺ هو رسوله حقًّا بلا شك ولا ريب[١].

▪ **قال ابن عباس:** شهد له بالرسالة[٢]. ووصْفُه ﷺ بالرسالة أبلغ من كل وصف، فالرسول هو من اجتباه الله تعالى واصطفاه من خلقه لتبليغ رسالته، ولدعوة الناس إلى عبادته وحده لا شريك له، وإرشادهم إلى طريق الهداية والفلاح، فهو يمثل ذروة الكمال البشري، وذروة العبودية لله عزَّ وجلَّ.

▪ **قال ابن كثير:** «وهو مبتدأ وخبر[٣]، وهو مشتمل على كل وصف جميل»[٤].

▪ **وقال ابن عطية:** «وهو ابتداء وخبر استوفى فيه تعظيم النبيّ ﷺ»[٥]. فوصْفُه ﷺ بأنه رسول الله هو أشرف وصفٍ وأعظم تكريم له ﷺ، ولهذا لَمَّا أرسل النبيُّ ﷺ خالد بن الوليد إلى بعض قبائل العرب يدعوهم إلى الإسلام، فقالوا: يا خالد! صف لنا محمدًا؟ قال: بإيجاز أم بإطناب؟ قالوا: بإيجاز.

▪ **فقال خالد** رضي الله عنه: هو رسول الله ﷺ.

---

(١) تفسير ابن كثير (١٣/ ١٣٢).
(٢) الوسيط (٤/ ١٤٦)، ومعالم التنزيل (٤/ ٢٠٥)، وزاد المسير (٧/ ٤٤٥).
(٣) هناك أوجه إعرابية أخرى سنعرض لها في مبحث اللغة.
(٤) تفسير ابن كثير (١٣/ ١٣٢).
(٥) المحرر الوجيز (١٥/ ١٢٢).

▪ وفي قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ ردٌّ على الكفار الذين كذبوه «ونداء على إبطال جحود المشركين رسالته حين امتنعوا من أن يكتب في صحيفة الصلح: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله. وقالوا: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت»[١].

▪ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾.

▪ قال ابن عطية: «إشارة إلى جميع الصحابة عند الجمهور، وحكى الثعلبي عن ابن عباس أن الإشارة إلى من شهد الحديبية بالذين معه»[٢].

▪ قال الشوكاني: والأولى حملُه على العموم[٣].

▪ قوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾: فيه ثناء من الله تعالى على أصحاب النبيّ ﷺ جميعًا، لأنهم كانوا جميعًا بهذا الوصف؛ غليظة على الكفار قلوبهم، قليلة بهم رحمتهم، رقيقة قلوب بعضهم لبعض، لينة أنفسهم لهم، هينة عليهم لهم[٤]. والله سبحانه جعل حسن الثناء علامة على حسن عقبى الدار، والكون في الجنة مع الأبرار[٥].

▪ قال الألوسي: «المعنى أن فيهم شدة وغلظة على أعداء الدين،

---

(١) التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٠٣)، وانظر خبر الصلح في صحيح البخاري رقم (٢٥٨١) كتاب الشروط.

(٢) المحرر الوجيز (١٥/ ١٢٣). وانظر الوسيط (٤/ ١٤٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٩٢)، والتفسير الكبير (١٤/ ٩٣)، وروح المعاني (٢٥/ ١٢٣).

(٣) فتح القدير (٥/ ٦٤).

(٤) انظر جامع البيان (١٥/ ٩٣).

(٥) الجواهر الحسان للثعالبي (٣/ ٢٥٨).

ورحمة ورقة على إخوانهم المؤمنين.

وفي وصفهم بالرحمة بعد وصفهم بالشدة تكميلٌ واحتراسٌ، فإنه لو اكتفى بالوصف الأول، لربما توهم أن مفهوم القيد غير معتبر، فيتوهم الفظاظة والغلظة مطلقًا، فدُفع بإرداف الوصف الثاني، ومآل ذلك؛ أنهم مع كونهم أشداء على الأعداء، رحماء على الإخوان، ونحوه قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [محمد:٥٤]، وعلى هذا قوله:

حليمٌ إذا ما الحلمُ زيَّنَ أهله ... على أنه عند العدوِّ مهيبُ[(١)]

▪ قال ابن كثير: «وهذه صفة المؤمنين؛ أن يكون أحدهم شديدًا عنيفًا على الكفار، رحيمًا برًّا بالأخيار، غضوبًا عبوسًا في وجه الكافر، ضحوكًا بشوشًا في وجه أخيه المؤمن، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة:١٢٣]»ا.هـ[(٢)].

وقول النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمَّى والسهر»[(٣)].

وقوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيانِ يشدُّ بعضه بعضًا» وشبك بين أصابعه[(٤)].

---

(١) روح المعاني (٢٥/ ١٢٣).

(٢) تفسير ابن كثير (١٣/ ١٣٢، ١٣٣).

(٣) البخاري رقم (٥٦٦٥) كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم. ومسلم (٢٥٨٦) كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين.

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٧) كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد. ومسلم (٢٥٨٥)، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين.

▪ **قال الحسن**: بلغ من تشددهم على الكفار، أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم، ومن أبدانهم أن تمسَّ أبدانَهم، وبلغ من تراحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمنٌ مؤمنًا إلا صافحه وعانقه[١].

«وبالجملة فأسباب الألفة والتراحم بين المؤمنين ولو بأن تلقى أخاك بوجه طلق، وكذلك بذل السلام وطيب الكلام، فالموفق لا يحتقر من المعروف شيئًا»[٢].

وقد عبر بعض المفسرين عن ذلك بأنهم مع الكفار كالأسد على فريسته، ومع المؤمنين كالوالد مع ولده[٣].

وأما دخول النبيّ ﷺ في هذا الوصفِ، فإن الوجه الإعرابي الذي ارتضيناه في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾، وهو: مبتدأ وخبر، يدل على أن هذا الوصف خاصٌّ بالصحابة في هذه الآية، لأن قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ﴾ ابتداء وخبر، جملة جديدة، ويدخلُ النبيُّ ﷺ في هذا الوصفِ من خلال بعضِ أوجه الإعرابِ الأخرى على ما سنبينه في موضعه إن شاء الله تعالى.

هذا بالنسبة للآية، أما عمومًا، فإن النبيَّ ﷺ مأمور بذلك كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:٧٣].

---

(١) روح البيان (٩/ ٥٧) وحدائق الروح والريحان (٢٧/ ٣٠٦)، وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ١٥٣).

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (٣/ ٢٥٧).

(٣) اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ٥١٣)، والوسيط (٤/ ١٤٦).

ومعنى الغلظ: خشونة الجانب، وهو نقيضُ الرأفة، وهو شدةُ القلب على إحلال الأمر بصاحبه[١]، قال ابن عباس: يريد شدة الانتهار لهم، والنظر بالبغضة والمقت[٢].

فهذا ضدُّ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

وقوله: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٢١٥].

وهل هذا الوصف مطلق في حق النبيِّ ﷺ وأصحابه، بمعنى هل كانوا يعاملون الكفار في كل وقت بالغلظةِ والشدة، أم أنه مقيد بحالاتِ القتال والمواجهةِ؟

الذي يظهر لي من سياق هذه الآية ـ محلّ الدراسة ـ والآيات الأخرى، ومن خلال تتبع مواقف النبي ﷺ وأصحابه في السيرة النبوية أن هذا الوصف مقيد بحالات القتال والمجابهة المسلحة ومواقف النزاع، أما فيما عدا ذلك، فقد كانوا يعاملونهم بالرفق واللين والإحسان طمعًا في إسلامهم وهدايتهم.

■ قال صاحب أضواء البيان: «ويفهم من هذه الآيات أن المؤمن يجب عليه ألا يلين إلا في الوقت المناسب للّين، وألّا يشتد إلا في الوقت المناسب للشدة، لأن اللين في محلّ الشدةِ ضعف، والشدة في محل اللين حمق وخرق،

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢٠٥).
(٢) زاد المسير (٣/ ٣٧٠).

وقد قال أبو الطيب المتنبي:

إذا قيل حلمٌ قل فللحلم موضعُ

وحلم الفتى في غير موضعِه جهلُ[١]

فهذه الآية هي خاتمة آيات سورة الفتح، وقد نزلت عند الانصراف من الحديبية، فعلى الرغم من أنه ﷺ لم يكن خارجًا للقتال بل للعمرة، فإن خيار القتال لم يكن بعيدًا عن النبي ﷺ، إن تعرض المسلمون للأذى، وبدأ الأعداء بالقتال، وقد نجح النبي ﷺ في إيصال هذه الرسالة لقريش.

فنحن إذًا في موقف من مواقف الحسم والشدة وإرهاب العدو، فكان النبي ﷺ وأصحابه أشداء على الكفار في مثل هذه المواقف التي تتطلب ثباتًا وشدة وغلظة على العدو. ولذلك فقد أظهر أصحاب النبي ﷺ غلظة عظيمة على أعداء الله في هذا الموقف، فهذا الصديق رضي الله عنه يقول لعروة بن مسعود حين قال للنبي ﷺ عن الصحابة: والله إني لأرى وجوهًا وإني لأرى أوشابًا من الناس خليقًا أن يفرّوا ويدعوك فقال له أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أمصص بظر اللات أنحن نفرّ عنه وندعه[٢] وهي مقالة شديدة، لم نعهد على الصديق رضي الله عنه أن تفوّه بمثلها، وهو الذي يضرب به المثل في الحلم والوقار والعفة، ولكن الموقف كان يتطلب مثل هذا الأسلوب في الخطاب.

وهذا المغيرة بن شعبة يضرب يد عروة بن مسعود بنعل السيف كلما

---

(١) أضواء البيان (٢/ ١١٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٥٨١)، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد.

أهوى بها إلى لحية النبيّ ﷺ[1] وهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ يتشددون في قبول هذا الصلح ويرفضونه، ولا يقبلونه إلا بعد أن يروا عزم النبيّ ﷺ على إمضائه[2].

ولعلَّ الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ من المفسرين القلائل الذين ألمحوا إلى أن شدة الصحابة على الكفار ليست مطلقة، بل هي مقيدة بحال الحرب والقتال، فكان من قوله ـ رحمه الله ـ في ذلك: «والشدة على الكفار هي الشدة في قتالهم وإظهار العداوة لهم، وهذا وصف مدح، لأن المؤمنين الذين مع النبي ﷺ كانوا هم فئة الحق ونشر الإسلام، فلا يليق بهم إلا إظهار التغضب لله.

والحب في الله، والبغض في الله من الإيمان، وأصحاب النبيّ ﷺ أقوى المؤمنين إيمانًا، من أجل أشراق أنوار النبوءة على قلوبهم، فلا جرم أن يكونوا أشدّ على الكفار، فإن في نفوس الفريقين تمام المضادة.

وما كانت كراهيتهم للصلح مع الكفار يوم الحديبية، ورغبتهم في قتل أسراهم الذين ثقفوهم يوم الحديبية، وعفا عنهم النبي ﷺ إلا من آثار شدتهم على الكفار، ولم تكن لاحت لهم المصلحة الراجحة على القتال وعلى القتل التي آثرها النبي ﷺ، ولذلك كان أكثرهم في إباء الصلح يومئذٍ أشداءهم على الكفار، وهو عمر بن الخطاب، وكان أفهمهم للمصلحة التي توخاها النبي ﷺ في إبرام الصلح أبا بكر. وقد قال سهل بن حنيف يوم

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

صفين: أيها الناس! اتهموا الرأي، فلقد رأيتنا يوم أبي جندل، ولو نستطيع أن نردَّ على رسول الله ﷺ فعله لرددناه، والله ورسوله أعلم.

ثم تكون أحكام الشدة على الكفار من وجوب وندب وإباحة وأحكام صحبتهم ومعاملتهم جارية على مختلف الأحوال، ولعلماء الإسلام فيها مقال[١].

▪ **وقال الألوسي أيضًا في ذات المعنى:** «ولا بأس بالبرّ والإحسان على عدو الدين إذا تضمن مصلحة شرعية، كما أفاد ذلك ابن حجر في فتاويه الحديثية[٢]».

▪ **وقوله تعالى:** ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ أي: ترى هاتين الحالتين كثيرًا فيهم[٣] إخبار عن كثرة صلاتهم[٤]، وهي خير الأعمال[٥]. فبعد أن وصف معاملتهم للخلق، بين معاملتهم للخالق سبحانه.

▪ **وقوله:** ﴿تَرَىٰهُمْ﴾ ليس خطابًا مع النبي ﷺ، بل هو عام أُخرج مخرج الخطاب، تقديره! أيها السامع كائنًا من كان، كما يقول الواعظ: انتبه قبل أن يقع الانتباه، ولا يريد به واحدًا بعينه[٦].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٠٤).
(٢) روح المعاني (٢٥/ ١٢٤).
(٣) المحرر الوجيز (١٥/ ١٢٣).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٩٣).
(٥) تفسير القرآن العظيم (١٣/ ١٣٣).
(٦) مفاتيح الغيب (٢٧/ ٩٣)، واللباب (١٧/ ٥١٢).

■ قال ابن عاشور: «وإيثار صيغة المضارع للدلالة على تكرر ذلك، أي تراهم كلما شئت أن تراهم ركعًا سجدًا، وهذا ثناء عليهم بشدة إقبالهم على أفضل الأعمال المزكِّية للنفس، وهي الصلوات؛ مفروضها ونافلتها، وأنهم يتطلبون بذلك رضى الله ورضوانَه.

وفي سوق هذا في مساق الثناء إيماءٌ إلى أن الله حقَّق لهم ما يبتغونه»[١].

■ وقوله: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ وصفٌ لهم بالإخلاص لله عزَّ وجلَّ في عبادتهم، واحتساب جزيل الثواب عند الله تعالى[٢]. وذلك لتمييز ركوعهم وسجودهم عن ركوع الكفار وسجودهم، وركوع المرائي وسجوده، فإنه لا يبتغي به ذلك[٣]. والمعنى: يلتمسون بركوعهم، وسجودهم، وشدتهم على الكفار، ورحمة بعضهم بعضًا فضلًا من الله، وذلك رحمته إياهم، بأن يتفضل عليهم، فيدخلهم جنته. ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ أن يرضَى عنهم ربهم[٤].

■ وقوله: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾ ولم يقل: «أجرًا» فيه اعتراف منهم بالتقصير، وأنهم لا يستحقون الأجر، وإنما يطمعون في محض الفضل، لأن الأجرة لا تُستحقُّ إلا على العمل الموافق للطلب من المالك، وهم يرون أن أعمالهم غير مطابقة لهذا الشرط[٥].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٠٥).
(٢) تفسير القرآن العظيم (١٣/ ١٣٣).
(٣) مفاتيح الغيب (٢٧/ ٩٣).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٦/ ١١٠).
(٥) انظر مفاتيح الغيب (٢٧/ ٩٣).

■ قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾.

السيما: العلامة[١]، أي علامتهم في وجوههم من أثر السجود[٢] وهل هذه العلامة في الدنيا أم في الآخرة، فيه قولان: وفي كل قول منهما أقوال لأهل العلم سنعرض لها عند الحديث عن أقوال المفسرين في الآية.

■ **قال عطاء الخراساني:** دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلواتِ الخمس[٣].

■ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ يعني ما ذكر من وصفهم هو ما وصفوا به في التوراة أيضًا[٤]. فالمثل هنا هو الوصف أو الصفة[٥].

وعلى الرغم من التحريف والتبديل الذي أصاب التوراة والإنجيل اللذين بين أيدي الناس اليوم، إلا أن كثرةَ ما يدلُّ على الإسلام ونبيِّ الإسلام وأمة الإسلام، جعلهم لا يقدرون على حذفه كلّه، وإنما حذفوا الكثير مما لا سبيل إلى تأويله، وبدّلوا وحرّفوا الكثير، وأبقوا على بعض ذلك، وصرفوه عن معناه الحقيقي بالتعسف والتأويل الباطل، وتحريف الكلم عن مواضعه.

ولا تزال هناك نصوص كثيرة في هذين الكتابين تشير إلى صحة نبوة نبينا محمد ﷺ، وأنه النبيّ الخاتم الذي ليس بعده نبيّ، وهناك نصوص

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٩٣)، وفتح القدير (٥/ ٦٤)، والمحرر الوجيز (١٥/ ١٢٣).
(٢) اللباب لابن عادل (١٧/ ٥١٤).
(٣) معالم التنزيل (٧/ ٣٢٤).
(٤) الوسيط (٤/ ١٤٦).
(٥) المحرر الوجيز (١٥/ ١٢٦).

كذلك تشير إلى أصحاب النبيّ ﷺ وهو ما يهمنا في هذا المقام.

▪ **قال البقاعي**: «ولـمّا وصفهم بهذا الأمر الذي لا يقدر عليه أحد إلا من صفاه الله من جميع حظوظه وشهواته، أشار إلى علوّه فقال: (ذلك) أي هذا الوصف العالي جدًّا، البديع المثال، البعيد المنال: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ فإنه قال فيها: «أتانا ربنا من سيناء، وشرق لنا من جبل ساعير، وظهر لنا من جبل فاران، معه ربواتُ الأطهار على يمينه، أعطاهم وحبَّبهم إلى الشعوب، وبارك على جميع أطهاره وهم يتبعون آثارك» فظهوره من فاران صريح في نبوة محمد ﷺ، فإنه لم يأت منها ـ وهي جبال مكة باتفاقهم ـ بعد نزول التوراة بالنبوة غيره ﷺ. وربوات الأطهار إشارة إلى كثرة أمته، وأنهم في الطهارة كالملائكة...»[1].

**وفي طبعة** (رجارد واطس) في لندن عام ١٨٢٢م جاء هذا النصُّ هكذا: «جاء الربُّ من سيناء، وأشرق لنا من ساعير، واستعلن من جبل فاران، ومعه ألوف الأطهار، في يمينه سنة نار».

**وفي الطبعة** التي بين أيدينا الآن في سفر التثنية الإصحاح الثالث والثلاثين: «جاء الربّ من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نارُ شريعة لهم»[2].

فأسقطوا في هذه الترجمة جملة «ومعه ألوف الأطهار» التي تدلّ على أصحاب النبي ﷺ، ليسهل عليهم صرف من جاء من جبال فاران إلى غير

---

(١) نظم الدرر (١٨/ ٣٤١).

(٢) نبوة محمد ﷺ من الشك إلى اليقين للدكتور فاضل صالح السامرائي (ص:٢٤٧).

النبي محمد ﷺ.

ومما يشير إلى شدة الصحابة على الكفار ما قال حزقيال في نبوءته، يتهدد اليهود: «إن الله مظهرهم عليكم، وباعث فيهم نبيًّا، وينزل عليهم كتابًا، ومملكهم رقابكم، فيقهرونكم ويذلونكم بالحق، ويخرج رجال بني قيدار في جماعات الشعوب معهم ملائكة على خيل بيض متسلحين، فيحيطون بكم، وتكون عاقبتكم النار».

■ **قال الإمام القرافي:** «وقيدار: هو ابن إسماعيل عليه السلام جدّ العرب، ولم يخرج من بني إسماعيل من له الحرب والغلبة لبني إسرائيل إلا نحن بالضرورة»[(١)].

■ **قوله تعالى:** ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾.

بعد أن ذكر ما وصفوا به في التوراة، ذكر نعتهم في الإنجيل، فهم فيه ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ أي أخرج نباته أو فراخَه من جوانبه[(٢)].

﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ ستره وقوّاه وأعانه وشدّه، أي قوّى الشطءُ الزرع، وقيل بالعكس أي قوى الزرع الشطء[(٣)].

■ **قال المبرد:** يعني أن هذه الأفرخ لحقت الأمهات حتى صارت مثلها[(٤)].

---

(١) الأجوبة الفاخرة لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (ص:١٧٩).
(٢) فتح القدير (٥/ ٦٥)، والوسيط (٤/ ١٤٦)، أضواء البيان (٧/ ٦٠٩).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٩٥)، والوسيط (٤/ ١٤٦).
(٤) الوسيط (٤/ ١٤٦).

﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ أي صار ذلك الزرع غليظًا بعد أن كان رقيقًا[١].

﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ فاستقام على قَصَبه، جمع ساق.

**وساق الزرع والشجر**: حاملته[٢].

﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ بكثافه وقوته وغلظه وحسن منظره[٣].

«وإذا أعجب الزراع، فهو أحرى أن يعجب غيرهم، ولو كان معيبًا لم يعجبهم، وهنا تم المثل»[٤].

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ أي: ليغيظ الله الكفار بالنبيّ ﷺ وأصحابه من المؤمنين[٥].

■ **قال صاحب أضواء البيان**: «هذه الآية الكريمة، قد بين الله فيها أنه ضرب المثل في الإنجيل للنبيّ ﷺ وأصحابه بأنهم كالزرع يظهر في أول نباته رقيقًا ضعيفًا متفرقًا، ثم ينبت بعضه حول بعض، ويغلظ ويتكامل حتى يقوى ويشتد، وتعجب جودتُه أصحابَ الزراعة العارفين بها، فكذلك النبي ﷺ وأصحابه، كانوا في أول الإسلام في قلة وضعف، ثم لم يزالوا يكثرون ويزدادون قوة حتى بلغوا ما بلغوا»[٦]، وقال أيضًا: «وما

---

(١) أضواء البيان (٧/ ٦٠٩).
(٢) جامع البيان (٢٦/ ١١٤).
(٣) أنوار التنزيل (٢/ ٤١٣).
(٤) المحرر الوجيز (١٥/ ١٢٨).
(٥) جامع البيان (٢٦/ ١١٥)، تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٢٨).
(٦) أضواء البيان (٧/ ٦٠٩).

تضمنته الآية الكريمة من المثل المذكور في الإنجيل المضروب للنبي ﷺ وأصحابه بأنهم يكونون في مبتدأ أمرهم في قلة وضعف، ثم بعد ذلك يكثرون ويقوون، جاء موضحًا في آيات من كتاب الله تعالى كقوله: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾ [الأنفال:٢٦].

■ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران:١٢٣].

■ وقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ الآية إلى غير ذلك من الآيات»[(١)].

وما قلناه عن التوراة هو نفس القول في الإنجيل، في أنهم حذفوا ما حذفوه، وحرفوا وبدلوا وزادوا ونقصوا، ومع ذلك وجدنا في الإنجيل ما يدل على هذا المثل الذي ذكر الله تعالى عن الصحابة رضوان الله عليهم، ففي إنجيل متى ١٣: ٣١-٣٢: «قدّم لهم مثلًا آخر يشبه ملكوت السموات: حبةُ خردل، أخذها إنسان، وزرعها في حقله، وهي أصغر من جميع البذور، ولكن متى نمت، فهي أكبر البقول، وتصير شجرةً، حتى أن طيور السماء تأتي وتأوي إلى أغصانها»[(٢)] فهذا المثل قريب جدًّا مما ذكر الله تعالى في كتابه، لا ينكر ذلك إلا من أعماهم التعصب عن رؤية الحق وإن

---

(١) أضواء البيان (٧/ ٦١٠).

(٢) مختصر إثبات نبوة محمد ﷺ، لمحمد إبراهيم حجاج (ص:٦٨)، وبشرية المسيح ونبوة محمد ـ وهو الجزء الثاني من المناظرة الكبرى ـ محمد أحمد عبد القادر ملكاوي، (ص:٢٣٢).

كان واضحًا لا خفاء فيه، والبشارات ـ كما ذكرت آنفًا ـ كثيرة ومتنوعة إلا أننا لم نذكر إلا ما له علاقة بالآية محلّ الدراسة.

ومن هذه الآية وخصوصًا قوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾؛ انتزع الإمام مالك رحمه الله ـ في رواية عنه ـ تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة، قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء على ذلك، والأحاديث في فضائل الصحابة والنهي عن التعرض لهم بمساءة كثيرة، ويكفيهم ثناء الله عليهم، ورضاه عنهم[1].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهبًا، ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفَه**»[2].

**قوله تعالى:** ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ فالصحابة رضي الله عنهم الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، قد جمع الله لهم بين المغفرة التي من لوازمها: وقاية شرور الدنيا والآخرة، والأجر العظيم في الدنيا والآخرة[3].

**وقيل:** إن عمل الصالحات في الآية هو محبة أصحاب رسول الله ﷺ، وهذا مما سمِعه الحسن البصري وارتضاه[4].

---

(١) تفسير ابن كثير (١٣/ ١٣٥).

(٢) البخاري (٣٤٧٠)، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبيّ ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلًا»، ومسلم: (٢٥٤٠) كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم.

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٧/ ١١٢)، وفتح القدير (٥/ ٦٦).

(٤) الكشف والبيان للثعلبي (٥/ ٥١٦).

وقيل: إن المغفرة جزاء الإيمان، والأجر العظيم جزاء العمل الصالح[١].

وهاهنا لطيفة ذكرها ابن عادل في تفسيره، وهي أن الله سبحانه أخبر أن هؤلاء الراكعين الساجدين يفعلون ذلك لأنهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ وأخبر أن لهم أجرًا، ولم يقل: لهم ما يطلبونه من الفضل، لأن المؤمن عند العمل لا يلتفت إلى عمله، ولم يجعل له أجرًا يعتد به، فقال: لا أبتغي إلا فضلك، فإن عملي نَزْرٌ لا يكون له أجر. والله تعالى آتاه من طلب الفضل، وسماه أجرًا، إشارة إلى قبوله عمله ووقوعه الموقع[٢].

ولطيفة أخرى في الآية أن المثل المضروب لصحابة رسول الله ﷺ في التوراة كان متعلقًا بكثرة العبادة والخشوع وهو ما يفتقده اليهود (أهل التوراة) فإنهم عُرفوا بشدة الاهتمام بالدنيا والتعلق بها فناسب تذكيرهم بما ينقصهم.

أما النصارى (أهل الإنجيل) فإنهم ابتدعوا رهبانية عمادها إهمال الدنيا واحتقارها فناسب أن يضرب لهم المثل بما ينقصهم في عمارة الأرض والتآزر والتعاون على العمل المثمر فجاء مثل صحابة رسول الله ﷺ في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ.

وعن بعض الصحابة أنه لما قرأ هذه الآية قال: تم الزرع وقد دنا حصاده[٣].

---

(١) لباب التأويل للخازن (٤/ ١٧٤).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ٥١٨).

(٣) الفتوحات الإلهية لسليمان بن عمر الشهير بالجمل (٤/ ١٧٢).

قال القرطبي: «... وهكذا القولُ في الصحابة ـ إن شاء الله تعالى ـ اشتركوا في الصحبة، ثم تباينوا في الفضائل، بما منحهم الله من المواهب والوسائل، فهم متفاضلون بتلك، مع أن الكلَّ شملتهم الصحبة والعدالة والثناء عليهم، وحسبك يقول الحق: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ إلى آخر السورة[1].

**وهذه الآية فيها من الفوائد ما يلي:**

- إثبات نبوة النبي ﷺ بأعظم شهادة وهي شهادة الحق تبارك وتعالى له بالرسالة.
- الردّ على من كذب النبي ﷺ وطعن في نبوته.
- الثناء على أصحاب رسول الله ﷺ جميعًا والاعتراف لهم بالفضل.
- بيان صفة أهل الإيمان في تعاملهم مع الكفار، وأن لهم العزة عليهم.
- بيان صفة أهل الإيمان في تعامل بعضهم مع بعض باللين والتواضع.
- بيان صفة أهل الإيمان في كثرة عبادتهم لله.
- بيان صفة أهل الإيمان في إخلاصهم العبادة لله وتواضعهم مع كثرة العبادة.
- بيان سمة وجوه أهل الإيمان في الدنيا والآخرة.
- بيان مثل الصحابة في التوراة.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٦٤).

- بيان مثل الصحابة في الإنجيل.
- بيان أن الإسلام بدأ غريبًا ثم قوي شيئًا فشيئًا حتى انتشر وسار مسير الليل والنهار.
- بيان غيظ الكفار من أصحاب النبي ﷺ.
- بيان أجر الصحابة في الآخرة.

* * *

## المبحث الثاني:

### أقوال المفسرين في الآية

- **قوله تعالى:** ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾.
- **قال ابن عباس:** شهد له بالرسالة[١].
- **قوله تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ هم جميع الصحابة عند الجمهور، وروي عن ابن عباس أنهم من شهد الحديبية منهم خاصة[٢].

**وقال مقاتل:** والذين آمنوا معه من المؤمنين[٣]. وهذا يرجع إلى الأول، لأن المنافقين ليسوا من أصحابه ﷺ.

قوله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ قال ابن عباس: كالسبع على فريسته[٤].

قوله: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾.

**قال قتادة:** ألقى الله في قلوبهم الرحمة بعضهم لبعض[٥].

**قوله:** ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾.

تقدم أن السيما هي العلامة، واختلف المفسرون في تعيين هذه السيما على اتجاهين:

---

(١) الوسيط (٤/ ١٤٦)، وزاد المسير (٧/ ٤٤٥).
(٢) المحرر الوجيز (١٥/ ١٢٣)، وروح المعاني (٢٥/ ١٢٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٩٢).
(٣) الوسيط (٤/ ١٤٦).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٢٢٠).
(٥) جامع البيان (٢٦/ ١١٠).

**أحدهما**: أن هذه العلامة تكون في الدنيا.

**الثاني**: أن هذه العلامة تكون في الآخرة.

فأما أصحاب الاتجاه الأول فقد تعددت أقوالهم في ذلك كما يلي:

**الأول**: أنها السمت الحسن، وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن وعلي بن طلحة[١].

**الثاني**: الخشوع، قاله مجاهد[٢].

**وقال منصور**: سألت مجاهدًا: أهذه السيما هي الأثر يكون بين عيني الرجل؟ قال: لا، وقد يكون مثل ركبة البعير وهو أقسى قلبًا من الحجارة[٣].

**الثالث**: أنه نَدَى الطهور وثَرى الأرض، قاله سعيد بن جبير ومالك، وقال أبو العالية: لأنهم يسجدون على التراب لا على الأثواب، وقال الأوزاعي: بلغني أنه ما حملت جباههم من الأرض، وقال عكرمة: هو أثر التراب[٤].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٦/ ١١٠، ١١١) وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٢٨)، وزاد المسير (٧/ ٤٤٦)، وأحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٧١٠)، وابن كثير (١٣/ ١٣٣)، وفتح القدير (٥/ ٦٥)، واللباب (١٧/ ٥١٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠١).

(٢) انظر جامع البيان (٢٦/ ١١١)، تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٢٨)، اللباب (١٧/ ٥١٤)، أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٧١٠)، الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٩٣)، تفسير ابن كثير (١٣/ ١٣٣)، والكشف والبيان (٥/ ٥١٣).

(٣) روح المعاني (٢٥/ ١٢٥). وانظر: الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٩٤)، وابن كثير (١٣/ ١٣٣)، والمحرر الوجيز (١٥/ ١٢٣).

(٤) جامع البيان (٢٦/ ١١١، ١١٢)، واللباب (١٧/ ٥١٤)، وأحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٧١٠)، والوسيط (٤/ ١٤٦)، وروح المعاني (٢٥/ ١٢٥)، وزاد المسير (٧/ ٤٤٦)، والمحرر الوجيز (١٥/ ١٢٣).

**الرابع**: أنه صفرة تعتري الوجوه من سهر الليل وكثرة العبادة، وهو قول الحسن البصري وسعيد بن جبير.

**وقال شمر بن عطية**: هو تهيّج في الوجه من سهر الليل.

**وقال الضحاك**: ليس بالندبِ[1] في الوجوه، ولكنه صفرة[2].

**الخامس**: أنه ما يظهر في الجباه بكثرة السجود[3].

**قال الآلوسي**: «وشاع تفسير ذلك بما يحدث في جبهة السجاد مما يشبه أثر الكي وثفنة البعير[4]، وكان كلّ من العَلِيَّيْنِ؛ علي بن الحسين زيد العابدين، وعلي بن عبد الله بن عباس أبي الأملاك رضي الله عنهما يقال له: ذو الثفنات؛ لأن كثرة سجودهما أحدث في مواقعه منهما أشباه ثفنات البعير، وهي ما يقع على الأرض من أعضائه إذا غلظ... وقول ابن عمر وقد رأى رجلًا بأنفه أثر السجود: إن صورة وجهك أنفك، فلا تَعْلُبْ[5] وجهك، ولا تشِن صورتك، فذلك إنما هو إذا اعتمد بجبهته وأنفه على الأرض لتحدثَ تلك السمة، وذلك محض رياء ونفاق، يُستعاذ بالله تعالى منه، والكلام فيما حدثَ في وجه السَّجاد الذي لا يسجد إلا خالصًا لوجه الله عزَّ وجلَّ.

---

(١) الندب: أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد.

(٢) انظر جامع البيان (٢٦/ ١١١)، وأحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٧١٠)، واللباب (١٧/ ٥١٤)، والوسيط (٤/ ١٤٦)، وفتح القدير (٥/ ٦٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٩٤)، والكشاف (٤/ ٣٤٧).

(٣) انظر: اللباب (١٧/ ٥١٤)، والكشف والبيان (٥/ ٥١٤).

(٤) ثفنة البعير: ما ولي الأرض من البعير إذا برك كالركبتين ويحصل فيه غلظ من أثر البروك.

(٥) **تعلب وجهك**: أي لا تتكئ على أنفك في السجود بشدة فتؤثر في وجهك.

وأنكر بعضهم كون المراد بالسيما ذلك، أخرج الطبراني والبيهقي في سننه، عن حميد بن عبد الرحمن قال: كنت عند السائب بن يزيد، إذ جاء رجل وفي وجهه أثر السجود، فقال: لقد أفسد هذا وجهه، أما والله ما هي السيما التي سمى الله تعالى، ولقد صليت على وجهي منذ ثمانين سنة، ما أثر السجود بين عينيّ، وربما يحمل على أنه استشعر من الرجل تعمدًا لذلك، فنفى أن يكون ما حصل به هو السيما التي سمى الله تعالى»[١].

**السادس**: أنه نورٌ يظهر على وجوه العابدين، وحُسْنٌ يعتري وجوه المصلين، فهو بهاء الوجه وظهور أنوار الطاعة عليه، وهو قول عطاء بن أبي رباح، والربيع بن أنس[٢].

**قال السديّ**: الصلاة تحسِّنُ وجوههم.

**وقال بعض السلف**: من كثرت صلاتُه بالليل حسن وجهه بالنهار[٣].

**وروى السلمي عن عبد العزيز المكي**: ليس ذاك هو النحول والصفرة، ولكنه نور يظهر على وجوه العابدين، يبدو من باطنهم على ظاهرهم، يتبين ذلك للمؤمنين، ولو كان من زنجي أو حبشي.

**وعن بعضهم**: ترى على وجوههم هيبةً لقرب عهدهم بمناجاة سيدهم[٤].

---

(١) روح المعاني (٢٥/ ١٢٥).
(٢) انظر: اللباب (١٧/ ٥١٤)، والمحرر الوجيز (١٥/ ١٢٥).
(٣) ابن كثير (١٣/ ١٣٣).
(٤) روح المعاني (٢٥/ ١٢٥).

**قال ابن كثير:** «والغرض أن الشيء الكامن في النفس يظهر على صفحاتِ الوجه، فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع الله، أصلح الله ظاهره للناس، كما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: من أصلح سريرته، أصلح الله علانيته... فالصحابة رضي الله عنهم خلصت نياتُهم، وحسنت أعمالهم، فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم»[1].

**والقول الثاني:** أنها في الآخرة، وفيه قولان:

**الأول:** أن مواضع السجود من وجوههم، يكون أشدّ وجوههم بياضًا يوم القيامة، وهو كقوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المطففين:٢٤]، وهو قول عطية العوفي، والحسن، ومقاتل، والزهري. وقال ابن عباس: صلاتهم تبدو في وجوههم يوم القيامة[2].

وروى الطبراني في الصغير والأوسط عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ قال: النور يوم القيامة»[3].

**قال الطبراني في (الأوسط):** «لم يرفع هذا الحديث عن أبي جعفر الرازي إلا روّاد والمسيب، تفرد به محمد بن أبي السري».

---

(١) ابن كثير (١٣/ ١٣٤).

(٢) انظر جامع البيان (٢٦/ ١١٠)، وزاد المسير (٧/ ٣٤٧)، واللباب (١٧/ ٥١٤)، وأحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٧١٠)، وروح المعاني (٢٥/ ١٢٥)، والوسيط (٤/ ١٤٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٩٣)، وفتح القدير (٥/ ٦٥).

(٣) الأوسط رقم (٤٦١٩)، والصغير رقم (٦٢٠).

**وقال في (الصغير)**: تفرد به أبو جعفر الرازي.

**وقال البيهقي في (مجمع الزوائد)**: «رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه روّاد بن الجراح، وثقة ابن حبان وغيره، وضعفه الدارقطني وغيره»[١].

وحسنه السيوطي في (الدر المنثور)[٢]، والألوسي في (روح المعاني)[٣].

**والثاني**: أنهم يبعثون غرًّا محجلين من أثر الطهور، ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» وعزاه للزجاج[٤].

والذي أميل إليه من أقوال المفسرين هو ما ذكره ابن جرير الطبري من أن الآية عامة لا تخصُّ وقتًا دون وقت، فهي تشمل الدنيا والآخرة «فكان سيماهم الذي كانوا يعرفون به في الدنيا: أثر الإسلام، وذلك خشوعه، وهديه، وزهده، وسمته، وآثار أداء فرائضه وتطوعه، وفي الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به، وذلك الغرةُ في الوجه، والتحجيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء، وبياض الوجوه من أثر السجود»[٥].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ ...﴾ قيل: هما مثلان؛ أحدهما في التوراة، والآخر في الإنجيل، وهو قول جمهور العلماء،

---

(١) مجمع الزوائد (٧/ ١٠٧).
(٢) الدر المنثور (٩/ ٢٣٥).
(٣) روح المعاني (٢٥/ ١٢٥).
(٤) زاد المسير (٧/ ٣٤٧).
(٥) جامع البيان (٢٦/ ١١٢).

ولذا آثرته عند شرح معاني الآية. قال به ابن عباس. وقتادة والضحاك وابن زيد وهو اختيار الطبري وابن كثير وغيرهما[١].

**وقيل:** هو مثل واحد أي مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كمثلهم في القرآن. وهو قول مجاهد والفراء ورجحه بعض المفسرين كالرازي وغيره[٢].

**قال الطبري:** «وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: مثلهم في التوراة غير مثلهم في الإنجيل، وإن الخبر عن مثلهم في التوراة متناهٍ عند قوله: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾، وذلك أن القول لو كان كما قال مجاهد من أن مثلهم في التوراة والإنجيل واحد، لكان التنزيل: «ومثلهم في الإنجيل وكزرعٍ أخرج شطأه» فكان تمثيلهم بالزرع معطوفًا على قوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ حتى يكون ذلك خبرًا عن أن ذلك مثلهم في التوراة والإنجيل، وفي مجيء الكلام بغير واو في قوله: ﴿كَزَرْعٍ﴾ دليل بين على صحة ما قلنا، وأن قولهم: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ خبر مبتدأ عن صفتهم التي هي في الإنجيل دون ما في التوراة منها»[٣].

قوله تعالى: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾:

---

(١) انظر جامع البيان (٢٦/ ١١٢، ١٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٩٤)، وابن كثير (١٣/ ١٣٥)، وفتح القدير (٥/ ٦٥)، والوسيط (٤/ ١٤٦)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٢٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٩٤)، والمحرر الوجيز (١٥/ ١٢٦)، ومفاتيح الغيب (٢٨/ ٩٤)، واللباب (١٧/ ٥١٤)، والبحر المحيط (٨/ ١٠١) وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام (٣/ ١١٠).

(٣) جامع البيان (٢٦/ ١١٣).

اختلف في معنى الشطء:

فقال أنس بن مالك وقتادة والزهري والزجاج: نباته[١].

وقال ابن زيد: فراخه وأولاده والمعنى: ثم كثرت أولاده[٢].

وقال مجاهد: ما يخرج بجنب الحقلة فيتم وينمى[٣].

وقال مقاتل: هو نبت واحد، فإذا خرج ما بعده فقد شطأه[٤].

وقال الأخفش: طرفه، وحكاه الثعلبي عن الكسائي[٥].

وقيل: إن الشطء شوك السنبل، والعرب أيضًا تسميه: السَّفا، وهو شوك البُهْمَى، قاله قطرب[٦].

وقيل: إنه السنبل فيخرج من الحبة عشر سنبلات وتسع وثمان، قاله الفراء وحكاه الماوردي[٧].

---

(١) جامع البيان (٢٦/ ١١٣، ١١٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٠٠١)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٩٤).

(٢) جامع البيان (٢٦/ ١١٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٩٤).

(٣) جامع البيان (٢٦/ ١١٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٩٤).

(٥) السابق (١٥/ ٢٩٤).

(٦) السابق (١٥)، وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام (٣/ ٢١٠)، والنكت والعيون (٥/ ٣٢٣).

(٧) تفسير القرآن للعز بن عبد السلام (٣/ ٢١٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٩٤، ٢٩٥).

**قوله:** ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ قال مجاهد: فشدَّه وأعانه، أي شدَّ فراخُ الزرع أصولَ النبت وقواها.

**وقال السدي:** ساواه فصار مثل الأم[١].

**وقال ابن زيد:** اجتمع ذلك فالتفَّ؛ قال: وكذلك المؤمنون خرجوا وهم قليل ضعفاء، فلم يزل الله يزيد فيهم، ويؤيدهم بالإسلام، كما أيَّد هذا الزرع بأولاده، فآزره، فكان مثلًا للمؤمنين[٢].

**وقوله:** ﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ قال مجاهد: على أصوله[٣].

**وعن قتادة والزهري:** ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ فتلاحق[٤].

**قوله تعالى:** ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ قال الضحاك: حبّ برّ نُثر متفرقًا، فتنبت كل حبة واحدة، ثم أنبتت كل واحدة منها، حتى استغلظ فاستوى على سوقه. قال: كان أصحاب محمد ﷺ قليلًا، ثم كثروا ثم استغلظوا[٥].

**قوله تعالى:** ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ قال ابن زيد: يعجب الزراع حسنه ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالمؤمنين لكثرتهم، فهذا مثلهم في الإنجيل[٦].

---

(١) النكت والعيون (٥/ ٣٢٣)، وتفسير العز (٣/ ٢١٠).
(٢) جامع البيان (٢٦/ ١١٥)، وحدائق الروح والريحان (٢٧/ ٣١١).
(٣) السابق (٢٦/ ١١٥).
(٤) السابق (٢٦/ ١١٥).
(٥) السابق (٢٦/ ١١٥).
(٦) السابق (٢٦/ ١١٥).

وعن ابن عباس قال: يقول الله: مثلهم كمثل زرعٍ ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ حتى بلغ أحسن النبات ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ من كثرته وحسن نباته[١].

وقال قتادة: ليغيظُ الله بالنبيّ ﷺ وأصحابِه الكفارَ[٢].

وقال: مثلُ أصحاب محمدٍ ﷺ في الإنجيل مكتوب أنه سيخرج من قوم ينبتون نباتَ الزرع، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر[٣].

وقال الحسن: «من غيظ الكفار: قول عمر بمكة: لا عُبد الله سرًّا بعد اليوم»[٤].

ومن الأقوال الضعيفة التي لا تثبت صحتُها ما ذكره صاحب «روح المعاني» فيما أخرجه ابن مردويه والقاضي أحمد بن محمد الزهري في «فضائل الخلفاء الأربعة»، والشيرازي في «الألقاب» عن ابن عباس قال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أبو بكر، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ عمر، ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ عثمان، ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ عليّ كرم الله تعالى وجهه، ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ طلحة والزبير، ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة بن الجراح.

---

(١) السابق (٢٦/ ١١٥).

(٢) تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٢٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٩٥)، وفتح القدير (٥/ ٦٥).

(٤) المحرر الوجيز (١٥/ ١٢٨)، وانظر معالم التنزيل (٧/ ٣٢٥)، وروح البيان في تفسير القرآن (٩/ ٦٠).

﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ﴾ بأبي بكر، ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ بعمر، ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ بعثمان، ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ بعليّ، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ جميع أصحاب محمد ﷺ[1].

وروى مبارك بن فضالة عن الحسن نحوًا من هذا القول[2].

وروي أيضًا عن جعفر الصادق في مناظرته مع الرافضي[3].

**قال الألوسي وأجاد:** «وكلُّ هذه الأخبار لم تصحّ فيما أرى، ولا ينبغي تخريج ما في الآية عليها، وأعتقد أن لكلٍّ من الخلفاء رضي الله تعالى عنهم الحظ الأوفى مما تضمنته»[4].

**وقال الثعالبي:** وهذا لين الإسناد والمتن كما ترى والله أعلم بصحته[5].

وقد ذكر ابن تيمية هذا التفسير ضمن تفاسير من اعتقدوا رأيًا ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين بجامع التقارب من بعض الوجوه ثم قال: وفي مثل قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أبو بكر، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ عمر، ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾

---

(١) روح المعاني (٢٥/ ١٢٩)، وتفسير القرآن للفيرزآبادي (١/ ٤٣٤)، والكشاف (٤/ ٣٤٨)، وتفسير غرائب القرآن (٦/ ١٥٤).

(٢) اللباب (١٧/ ٥١٧)، والكشف والبيان للثعلبي (٥/ ٥١٥).

(٣) مناظرة للإمام جعفر الصادق. تحقيق وتعليق: علي الشبل الطبعة الأولى ١٤١٧هـ دار الوطن الرياض، (ص:٣١).

(٤) روح المعاني (٢٥/ ١٢٩).

(٥) الجواهر الحسان (٣/ ٢٥٩).

عثمان، ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ عليّ... وأمثال هذه الخرافات التي تتضمن تارة تفسير اللفظ بما لا يدل عليه بحال فإن هذه الألفاظ لا تدل على هؤلاء الأشخاص وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ كل ذلك نعت للذين معه وهي التي يسميها النحاة خبرًا بعد خبر والمقصود هنا أنها كلها صفات لموصوف واحد وهم الذين معه ولا يجوز أن يكون كل منها مرادًا به شخص واحد»[1].

***

(١) مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، (ص:٣٧).

## المبحث الثالث:

### القراءات في الآية

**تمهيد:**

لا شكَّ أن للقراءات المتعددة الثابتة أثرًا محمودًا في تفسير آي القرآن الكريم وذلك من الجهات التالية:

أ- تبيين معنى الآية.

ب- توسيع معاني الآية.

ج- إزالة الإشكال عن معنى الآية.

د- تخصيص عموم الآية.

هـ- تقييد مطلق الآية.

و- تبيين إجمال الآية[1].

ومما يدل على أن تعدد القراءات هو ضرب من الإعجاز القرآني، أن هذا التعدد لا يؤدي إلى تناقض المعاني وتعارضها، وإنما هو نوع من اختلاف التنوع الذي يثرى المعني، ويتيح للمفسر مجالًا أرحب في الوصول إلى المعنى الدقيق الذي يرتضيه، مع عدم إنكار المعاني الأخرى التي يدل عليها النصُّ، وتؤيدها أقوال المفسرين ودلالات اللغة.

---

(١) انظر «القراءات وأثرها في التفسير والأحكام» لمحمد بن عمر بازمول (٢/ ٩٣٥).

أما القراءات في هذه الآية فتنقسم إلى:

قراءات عشرية، وقراءات شاذة.

**المطلب الأول: القراءات العشرية:**

١ - قوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾.

قال أبو حيان: «وقرأ عمرو بن عبيد: «ورُضوانًا» بضم الراء»[١].

قال شهاب الدين: وهذه قراءة متواترة قرأ بها عاصم في رواية أبي بكر عنه، وتقدمت في سورة آل عمران، واستثنيتُ له حرفًا واحدًا وهو ثاني المائدة[٢].

أما آية آل عمران فهي قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران:١٥] جاء في كتاب معاني القراءات: قرأ عاصم وحده في رواية أبي بكر «ورُضوان» بضم الراء في كل القرآن، إلا قوله في المائدة: ﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ فإنه كسر الراء ههنا، وهذه رواية يحيى عن أبي بكر.

وقال الأعشى: «رُضوانه بالضم مثل سائر القرآن، وكسر الباقون الراء في جميع القرآن، وكذلك روى حفص عن عاصم.

قال أبو منصور: «الرُّضوان» و«الرِّضوان» لغتان فصيحتان، من رضي يرضى، إلا أن الكسر أكثر في القراءة وهو الاختيار»[٣]، وقيل إن هذه

---

(١) البحر المحيط (٨/ ١٠٠).

(٢) اللباب (١٧/ ٥١٣).

(٣) معاني القراءات ص (٩٦).

قراءة عشرية وليست متواترة[١].

٢- **قوله تعالى:** ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ...﴾ قرأ ابن عامر وابن كثير: «شَطَأَه» بفتح الطاء.

وقرأ الباقون «شَطْأَه» بسكون الطاء.

**قال أبو منصور:** القراءة الجيدة: ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ بسكون الطاء والهمز، ومعنى الشطء: فراخ الزرع إذا فرخ، ومن قرأ «شَطَأَه» فحرك الشين والطاء والهمزة، فهي لغة مثل شَطْأه»[٢].

**وقال صاحب كشف المشكلات:** ويجوز «شَطَأه». و«شَطْأَه» لأن كلَّ ما فيه حرف الحلق، جاز في عينه الفتح، وروي ذلك عن ابن كثير»[٣].

وقد تقدم أن هذه قراءة ابن عامر أيضًا، وهي قراءة ابن ذكوان عن ابن عامر[٤].

٣- **قوله تعالى:** ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ قرأ ابن عامر «فَأَزَرَه» مقصورة الألف، بوزن «عَزَره» وقرأ الباقون: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ بوزن «عازره».

**قال أبو منصور:** «من قرأ «أَزَره» بقصر الهمزة، فالهمزة فاء الفعل، ومعنى «أَزَره»: قوَّاه.

---

(١) التقريب لابن الجزري (ص:١٧٤).

(٢) كتاب معاني القراءات لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ص:٤٥٥، ٤٥٦)، وانظر: حجة القراءات لابن زنجلة (ص:٦٧٤).

(٣) كشف المشكلات وإيضاح المعضلات لجامع العلوم أبي الحسن علي بن الحسين الأصبهاني (٢/ ١٢٥٩).

(٤) النشر (٢/ ٣٧٥).

قال الفراء: أزَره يأزره أزرًا، أي قواه. ومنه قوله تعالى: ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾ أي قوتي.

ومن قرأ ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ فهي في الأصل «أأزره» بهمزتين، على وزن «أفْعَلَه» فخفف الهمزة الثانية، فصارت بوزن «عازره» بهمزة مطوّلة، ومعنى آزره: أي أزر الصغار الكبار حتى استوى بعضه مع بعض، وقال:

بِمَحْنِيَةٍ قد آزر الضَّالَ نَبْتُها مَجَرَّ جيوشٍ غانمينَ وخُيَّبِ

قال الأصمعي: معنى قوله: «قد آزر الضال نبتها» أي ساوى نباتَ العشب الضال، وهو السدر البري، حتى استوى مع الضال، لطوله واعتمامه»[1].

فهنا اختلف المعنى بسبب اختلاف القراءة، مع ملاحظة أن أحد المعنيين لا يعارض المعنى الآخر، بل كلاهما مراد وصحيح ومقبول.

٤- قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ قرأ ابن كثير وحده «على سُؤقه» بالهمز، ورواه بعضهم عنه: «على سُوقه» بغير همز، وقرأ سائر القراء «على سوقه» غير مهموز.

قال أبو منصور: «القراءة «على سُوقه» غير مهموز جمع ساق، كما يقال: دار ودور، والهمز فيه وهم عندي»[2].

وقال ابن عطية عن قراءة ابن كثير «على سُؤقه» بالهمز: «وهي لغة

(١) معاني القراءات (ص:٤٥٦)، وحجة القراءات (ص:٦٧٤، ٦٧٥).
(٢) معاني القراءات (ص:٤٥٦).

ضعيفة يهمزون الواو التي قبلها ضمة»[١].

وهذا الذي قاله أبو منصور الأزهري وابن عطية غير مسلَّم، فقد قال أبو حيان: «وأما همز السؤق، وعلى سؤقه فلغة مشهورة في همز الواو التي قبلها ضمة، وحكى أبو عليّ أن أبا حيةَ النُّميري كان يهمز كلّ واو قبلها ضمة، وأنشد:

أحبُّ المؤقدين إليَّ موسى[٢].

وقال الآلوسي في قوله تعالى: ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ [النمل:٤٤].

«وقرأ ابن كثير برواية قنبل «سأقيها» بهمز ألف ساق حملًا له على جمعه: سؤق وأسؤق، فإنه يطّرد في الواو المضمومة هي أو ما قبلها قلبُها همزة، فانجرَّ ذلك بالتبعية إلى المفرد الذي في ضمنه... وفي الكشف: الظاهر أن الهمز لغة في ساق، ويشهد له هذه القراءة الثابتة في السبعة، وتعقب بأنه يأباه الاشتقاق.

وأيًّا ما كان فقول من قال: إن هذه القراءة لا تصح لا يصحّ»[٣].

وقال صاحب حجة القراءات عن قراءة الهمز: «وهي مثل: «كاس، وياس، وساق» والعرب تهمز ما لا يهمز تشبيهًا بما يُهمز فـ «كاس، وياس، وساق» وزنها واحد يشبّه بعضها ببعض، ألا ترى أن العرب تقول: «حَلَّأْتُ

---

(١) المحرر الوجيز (١٥/ ١٢٨).

(٢) البحر المحيط (٨/ ١٠٢) والبيت لجرير وتمامه: وجعدة إذ أضاءهما الوقود، وهو في ديوانه (١/ ٢٢٨).

(٣) روح المعاني (١٩/ ٢٠٩) وانظر اللباب (١٧/ ٥١٦، ٥١٧).

السويق» والأصل: «حَلَّيْتُ» تشبيهًا بـ حَلَّأْتُ[١] الإنسانَ عن المال والإبل[٢].

**المطلب الثاني: القراءات الشاذة:**

١- **قوله تعالى:** ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾.

**قرأ ابن عامر في رواية:** «رسولَ الله» بالنصب. قال في «الكشاف»: «بالنصب على المدح»[٣]، وكذا قال الألوسي في (روح المعاني)[٤]. وقال ابن عادل في (اللباب): «بالنصب على الاختصاص، وهي تؤيد كونه تابعًا لا خبرًا حالة الرفع»[٥].

**وقال العكبري** في (إعراب القراءات الشواذ): ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ يقرأ بالنصب فيهما، وهي بدل على من قوله: ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ ويجوز أن يكون منصوبًا على التعظيم»[٦].

٢- **قوله تعالى:** ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ قرأ الحسن: «أشداءَ، رحماءَ» بالنصب. قال صاحب الكشاف: «ووجه من قرأ: «أشداءَ ورحماءَ» بالنصب؛ أن ينصبهما على المدح، أو على الحال بالمقدّر في «معه» ويجعل «تراهم» الخبر»[٧].

---

(١) حلأت: طردت.
(٢) حجة القراءات (ص: ٥٣٠).
(٣) الكشاف (٤/ ٣٤٦).
(٤) روح المعاني (٢٥/ ١٢٣).
(٥) اللباب (١٧/ ٥١٢).
(٦) إعراب القراءات الشواذ (٢/ ٤٩٧).
(٧) الكشاف (٤/ ٣٤٧). وانظر اللباب (١٧/ ٥١٢).

وقال العكبري: «قوله تعالى: (أشداء) يقرأ بضم الشين، أبدل من الكسرة ضمة؛ لتقارب ما بينهما.

ويقرأ: «أشِدَّا» بالقصر مثل «أقِرّى» وهو شاذٌّ في الجموع.

ويقرأ: «أشداءَ» بالنصب، وكذلك «رحماءَ» على التعظيم، أو على الحال، أو على الوصف في قراءة من قرأ «محمدًا» بالنصب.

وذكر ابن عادل أن الذي قرأ «أشدَّاء» بالقصر هو يحيى بن يعمر، قال: «والقصر من ضرائر الأشعار كقوله:

**لا بدَّ من صنعا وإن طال السفر**

فلذلك كانت شاذة[1].

٣- **قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾.**

قرئ: سيمياؤهم وذكر هذه القراءة أبو حيان في «البحر» دون نسبه[2].

وقال ابن عادل: «وهي لغة فصيحة، وأنشد:

**غلامٌ رماه اللهُ بالحسنِ يافعًا  له سِيمياءُ لا تُشَقُّ على البصرِ**[3]

وفي قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ [البقرة:٢٧٣] بين هناك أن السيما مقصورة، ويجوز مدُّها، وإذا مدّت فالهمزة فيها منقلبة عن حرف زائدٍ للإلحاق؛ إما واو، وإما ياء، فهي كعلباء، فالهمزة فيه للإلحاق لا للتأنيث

---

(١) اللباب (١٧/ ٥١٢، ٥١٣). وانظر روح المعاني (٢٥/ ١٢٤).

(٢) البحر المحيط (٨/ ١٠٠).

(٣) اللباب (١٧/ ٥١٣).

وهي منصرفة لذلك»[١].

٤- قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾.

قرأ ابن هرمز: «إِثْر» بكسر الهمزة، وسكون التاء، وهي لغة في المصدر، يقال: خرجتُ في إثْرِه وأثَرِه.

وقرأ قتادة: «من آثار» بالجمع[٢].

٥- قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ قرئ: «الأَنجيل» بفتح الهمزة، ذكره الزمخشري دون نسبة[٣].

٦- قوله تعالى: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾:

قرأ أبو حيوة: «شَطَاءه» بالمدّ والهمز مثل عطاءه.

وقرأ زيد بن علي: «شطاه» بألف صريحة بعد الطاء، فيحتمل أن تكون بدلًا من الهمزة بعد نقل حركتها إلى الساكن قبلها على لغة من يقول: المِرَاةُ والكَمَاة بعد النقل، وهو تخفيف مقيسٌ عند الكوفيين، وعند البصريين شاذ لا يقاس عليه، ويحتمل أن يكون مقصورًا من الممدود.

وقرأ الجحدري وابن أبي إسحاق: «شطه» بغير همزة، وإلقاء حركتها على الطاء، ورويت عن شيبةَ ونافع، وهو القياس[٤].

---

(١) اللباب (٤/ ٤٣٧).

(٢) إعراب القراءات الشواذ (٢/ ٤٩٨)، والكشاف (٤/ ٣٤٧)، واللباب (١٧/ ٥١٤)، وروح المعاني (٢٥/ ١٢٦).

(٣) الكشاف (٤/ ٣٤٨).

(٤) انظر: إعراب القراءات الشواذ (٢/ ٤٩٨، ٤٩٩)، ومعاني القراءات (ص:٤٥٦،

وقرأ الجحدريُّ شَطْوه أبدل الهمزة واوًا لأنها أخف من الهمزة.

قال في «**فتح القدير**»: «وكلها لغات»[1].

**وقال ابن عادل**: «وهذه كلها لغات في فراخ الزرع»[2].

***

٤٥٧)، والكشاف (٤/ ٣٤٨)، واللباب (١٧/ ٥١٥)، وفتح القدير (٥/ ٦٥)، وروح المعاني (٢٥/ ١٢٦).

(١) فتح القدير (٥/ ٦٥).

(٢) اللباب (١٧/ ٥١٥).

## المبحث الرابع:

### اللغة في الآيـة

لا شكَّ في أهمية اللغة العربية في معرفة معاني ألفاظ وآيات الكتاب العزيز، وليس ذلك بغريب «فمن المحقق أن القرآن نزل بلغة العرب وإليها يرجع في تفسيره» كما قال ابن بدران[١].

**وقال أيضًا:** «وحيث جرى الخلاف في معنى كلمة من الكتاب العزيز، كان المرجع في تفسيرها إما إلى لغة العرب، وإما إلى الحقيقة الشرعية، ولا يلتفت إلى ما اصطلح عليه بعد نزول الكتاب العزيز»[٢].

ولا ريب أيضًا أن لاختلاف الإعراب والتوجيهات النحوية والبلاغية والوقف والابتداء أثرًا في اختلاف المعاني والتفسير، مما يحتم على المفسر أن يكون ذا معرفة تامَّة بلغة القرآن حتى يستطيع الوقوف على أصحّ الأقوال في الآية، بل في اللفظ الذي يمكن أن يتسبب ـ إذا لم ينضبط بضوابط الشرع واللغة ـ في إحداث معنًى باطل ربما انحرف به صاحبه عن جادة الصواب.

**ومن مسائل اللغة في هذه الآية:**

**قوله تعالى:** ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾.

ذكرنا قول من قال: هو ابتداء وخبر، استوفى فيه تعظيم منزلة النبيّ ﷺ[٣].

---

(١) جواهر الأفكار (ص:١٥١).
(٢) جواهر الأفكار (ص:٤٩٣).
(٣) المحرر الوجيز (١٥/ ١٢٢)، والجواهر الحسان (٣/ ٢٥٧).

**قال أبو حيان:** «والظّاهر أن ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ مبتدأ وخبر»[1].

**قال أصحاب هذا القول:** وهذا إنما نزل حين كتبوا إلى أهل مكة «من محمدٍ رسول الله» فقال المشركون: نحن لا نقرُّ بأنه رسول الله، فأنزل الله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾[2].

**وعلى هذا يكون:** ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ ابتداء، وخبره: ﴿أَشِدَّآءُ﴾، و﴿رُحَمَآءُ﴾ خبر ثان[3].

**وقال كثير من المفسرين:** ﴿مُّحَمَّدٌ﴾ إما خبر مبتدأ، أي هو محمد، وذلك لتقدم قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾.

وإما: ﴿مُّحَمَّدٌ﴾ مبتدأ، و ﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ عطف بيان أو نعت أو بدل.

﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ عطف على ﴿مُّحَمَّدٌ﴾، والخبر عن الجميع قوله: ﴿أَشِدَّآءُ﴾[4].

وعلى التوجيه الأول الذي ارتضيناه يوقف على قوله: ﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ لتمام الجملة، ولأن صفاته عليه السلام تزيد على ما وصف به أصحابه، أما على هذا التوجيه فلا يوقف على ﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾[5].

---

(١) البحر المحيط (٨/ ١٠٠).

(٢) كشف المشكلات (٢/ ١٢٥٦).

(٣) المحرر الوجيز (١٥/ ١٢٢)، وكشف المشكلات (٢/ ١٢٥٦).

(٤) انظر كشف المشكلات (٢/ ١٢٥٦)، والكشاف (٤/ ٣٤٦)، والمحرر الوجيز (١٥/ ١٢٢)، والبحر المحيط (٨/ ١٠٠)، واللباب (١٧/ ٥١١، ٥١٢)، وروح المعاني (٢٥/ ١٢٣).

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٩٢).

قال ابن عطية: «ففي القول الأول: اختُصَّ النبيّ ﷺ بوصفه، وهؤلاء بوصفهم، وفي القول الثاني: اشتراك الجميع في الشدة والرحمة» قال: «والأول عندي أرجح، لأنه خبر مضاد لقول الكفار: لا نكتب محمد رسول الله»[١].

ويبدو أن القرطبي أيضًا رجح التوجيه الإعرابي الأول وهو بذلك ينضم إلى ابن جرير وابن عطية وابن كثير وغيرهم، فقد قال: «وكون الصفات في جملة أصحاب النبي ﷺ هو الأشبه»[٢].

وهذا الموضع يبين بجلاء أثر الإعراب في اختلاف التفسير بل أثره في مسائل الوقف والابتداء كما سبق بيانه.

قوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾.

تقدم أن قراءة الجمهور برفع (أشداء) و(رحماء) على أنه خبر للموصول أو خبر لمحمد وما عطف عليه كما تقدم.

وأما على قراءة الحسن بنصبهما على الحال أو المدح، يكون الخبر على هذه القراءة ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ أي تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين. وعلى قراءة الجمهور (تراهم) خبر آخر أو استئناف[٣].

ومن الإشارات البلاغية: أسلوب التكميل في قوله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ «لأنه لو اكتفى بقوله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ لربما

(١) المحرر الوجيز (١٥/ ١٢٢، ١٢٣).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٩٢).
(٣) فتح القدير (٥/ ٦٤). وانظر الكشاف (٤/ ٦٤). وانظر الكشاف (٤/ ٣٤٧).

أوهم الفظاظة والغلظة فيما بينهم، فكمّل بقوله: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ رفعًا لذلك الوهم، فيكون من أسلوب التكميل»[١].

والخطاب في (تراهم) لغير معين، بل لكل من تتأتى، رؤيته إياهم[٢].

**وفي إشارة بلاغية قال ابن عاشور:** «وفي تعليق: (رحماء) مع ظرف «بين» المفيد للمكان الداخل وسط ما يضاف هو إليه، تنبيه على انبعاث التراحم فيهم جميعًا. قال النبي ﷺ: «**تجد المسلمين في توادّهم وتراحمهم كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، اشتكى له جميع الجسد بالسهر والحمى**»[٣].

وقوله: ﴿رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ حالان، لأن الرؤية بصرية، والمراد: تراهم مصلين، والتعبير بالمضارع للاستمرار، وهو استمرار عرفي، ومن هنا كان هذا دليلًا على كثرة الصلاة منهم[٤].

■ **قوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾.**

جملة: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾ إما أن تكون حالًا ثالثة من مفعول ﴿تَرَىٰهُمْ﴾ أو من الضمير المستتر في ﴿رُكَّعًا سُجَّدًا﴾.

وجوز أبو البقاء أن يكون ﴿سُجَّدًا﴾ حالًا من الضمير في ﴿رُكَّعًا﴾ حالًا مقدَّرة، فعلى هذا يكون ﴿يَبْتَغُونَ﴾ حالًا من الضمير في ﴿سُجَّدًا﴾

---

(١) تفسير حدائق الروح والريحان (٢٧/ ٣٢٧).
(٢) التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٠٥).
(٣) التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٠٥) والحديث الذي ذكره ابن عاشور رواه البخاري: كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم (٦٠١١)، ومسلم:، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، رقم (٢٥٨٦).
(٤) انظر روح المعاني (٢٥/ ١٢٤)، واللباب (١٧/ ٥١٢)، والفتوحات الإلهية (٤/ ١٧١).

فيكون حالًا من حال، وتلك الحال الأولى حالٌ من حالٍ أخرى[١].

ويمكن أن تكون الجملة خبرًا بعد خبر في موضع الرفع[٢].

ويمكن أن تكون استئنافًا أي مبنيًّا على سؤال نشأ من مواظبتهم على الركوع والسجود، كأنه قيل: ماذا يريدون بذلك، فقيل: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾[٣].

▪ **قوله:** ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ﴾: ذلك: إشارة إلى ما ذكر من نعوتهم الجليلة، وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلوّ شأنه، وبعد منزلته في الفضل[٤].

▪ **قوله تعالى:** ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ﴾ مذهب أكثر أهل التأويل والوقف أن قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ مبتدأ وخبر، والكلام تام، والوقف على التوراة. ثم ابتدأ فقال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾. وبهذا يكون هناك مثلان: أحدهما في التوراة، والآخر في الإنجيل.

**وقال مجاهد:** بل قوله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ مع ما بعده جميعًا في التوراة والإنجيل. وكذلك ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ في التوراة والإنجيل. وعلى هذا التأويل لا يكون الوقف على ﴿ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾، وإنما يكون على

---

(١) اللباب (١٧/ ٥١٢).
(٢) كشف المشكلات (٢/ ١٢٥٨).
(٣) الفتوحات الإلهية (٤/ ١٧١)، وروح المعاني (٢٥/ ١٢٤)، واللباب (١٧/ ٥١٢).
(٤) روح المعاني (٢٥/ ١٢٦).

﴿ٱلْإِنجِيلِ﴾[1]. وعلى هذا الثاني يكون قوله ﴿كَزَرْعٍ﴾ فيه أوجه:

**أحدها**: أنه خبر مبتدأ مضمر، أي مثلهم كزرعٍ، فسّر به المثل المذكور في الإنجيل.

**الثاني**: أنه حال من الضمير في ﴿مَثَلُهُمْ﴾ أي مماثلين زرعًا هذه صفته.

**الثالث**: أنه نعت مصدر محذوف، أي تمثيلًا كزرع، ذكره أبو البقاء.

**قال الزمخشري**: ويجوز أن يكون (ذلك) إشارة مبهمة أوضحت بقوله: ﴿كَزَرْعٍ﴾ كقوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر:٦٦]»[2].

ومن الإشارات البلاغية: تكرير ﴿مَثَلُهُمْ﴾ لتأكيد غرابته وزيادة تقريرها[3].

ومنها التشبيه التمثيلي في قوله: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ لأن وجه الشبه منتزع من أمورٍ متعددة[4].

**قوله**: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ قيل: إن الضمير المستتر في «آزر» للزرع، والبارز للشطء. وعكس النسفي فجعل المستتر للشطء، والبارز للزرع، أي فقوى الشطءُ بكثافته الزرعَ. قال صاحب «الفتوحات الإلهية»: «وما صنعه

---

(١) انظر كشف المشكلات (٢/ ١٢٥٨)، وروح المعاني (٢٥/ ١٢٦)، والمحرر الوجيز (١٥/ ١٢٦).

(٢) الكشاف (٤/ ٣٤٨) والفتوحات الإلهية (٤/ ١٧٢).

(٣) تفسير حدائق الروح والريحان (٢٧/ ٣٢٧).

(٤) السابق (٢٧/ ٣٢٨).

النسفي أنسب، فإن العادة أن الأصل يتقوى بفرعه، فهي تعينه وتقويه»[١].

وقد تقدم أقوال العلماء في معنى الشطء، ومعنى (آزره) تبعًا لاختلاف القراءة، وأثر ذلك في تفسير هذه الكلمات، بما يغني عن إعادته ههنا.

**وقوله:** ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ قيل إن السين والتاء للمبالغة مثل: «استجاب» فعلى هذا يكون المعنى: غلظ غلظًا شديدًا في نوعه[٢].

وقيل إنه من باب «استحجر الطين» أي شيئًا فشيئًا؛ لأن بناء الساق على التدريج يعني أن السين هنا للتحول[٣].

وأشار ابن عاشور إلى بلاغة هذا التمثيل فقال: «وساق الزرع والشجرة: الأصل الذي تخرج فيه السنبل والأغصان، ومعنى هذا التمثيل تشبيه حال بدء المسلمين ونمائهم حتى كثروا، وذلك يتضمن تشبيه بدء دين الإسلام ضعيفًا، وتَقَوِّيه يومًا فيومًا، حتى استحكم أمره، وتغلب على أعدائه، وهذا التمثيل قابل لاعتبار تجزئة التشبيه في أجزائه، بأن يشبّه محمد ﷺ بالزارعِ، كما مثل عيسى غلب الإسلام في الإنجيل، ويشبه المؤمنون الأولون بحباتِ الزرع التي يبذرها في الأرض مثل: أبي بكر وخديجة وعلي وبلال وعمار. والشطء من أيدوا المسلمين، فإن النبيَّ ﷺ دعا إلى الله وحده، وانضم إليه نفر قليل، ثم قواه الله بمن ضامن معه، كما يقوي الطاقةَ الأولى من الزرع ما يحتفُّ بها مما يتولّد منها حتى يعجب الزراع. وقوله: ﴿يُعْجِبُ

(١) الفتوحات الإلهية (٤/ ١٧٢). وانظر تفسير القرآن للعز بن عبد السلام (٣/ ٢١٠).
(٢) انظر التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٠٩)، والفتوحات الإلهية (٤/ ١٧٢).
(٣) روح البيان لإسماعيل حقي (٩/ ٥٩).

﴿ٱلزُّرَّاعَ﴾ تحسين للمشبه به ليفيد تحسين المشبّه»[1].

قوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ ذكر العلماء في تعليل غيظ الكفار وجوهًا:

الأول: ما دلَّ عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة، كأنه قيل: إنما قواهم وكثَّرهم ليغيظ بهم الكفار.

الثاني: متعلق بـ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لأن الكفار إذا سمعوا بما أعدَّ لهم في الآخرة مع ما يعزّهم به في الدنيا غاظهم ذلك.

الثالث: متعلق بما يدلّ عليه قوله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ أي جعلهم بهذه الصفات ليغيظ بهم الكفار.

الرابع: أن يتعلق بمحذوف دلَّ عليه تشبيههم بالزرع في نمائهم وتقويتهم قاله الزمخشري، أي شبههم الله بذلك ليغيظ[2].

■ قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح:٢٩].

■ قوله: ﴿مِنْهُم﴾: «من» هذه للبيان لا للتبعيض، لأن كلّ الصحابة ﷺ كذلك، فهي كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج:٣٠][3].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٦/ ٢١٠).

(٢) انظر: الكشاف (٤/ ٣٤٨)، والفتوحات الإلهية (٤/ ١٧٣)، والتحرير والتنوير (٢٦/ ٢١٠)، والدرّ المصون (٩/ ٧٢٤)، واللباب (١٧/ ٥١٧، ٥١٨). والجواهر الحسان (٣/ ٢٥٩).

(٣) الدر المصون (٩/ ٧٢٤).

أي فاجتنبوا الرجس من جنس الأوثان، إذ كان الرجس يقع من أجناس شتى، منها الزنا والربا وشرب الخمر والكذب، فأدخل «من» يفيد بها الجنس، وكذا «منهم» أي من هذا الجنس يعني جنس الصحابة.

**ومثله أن تقول:** «أنفق من الدراهم» أي اجعل نفقتك من هذا الجنس. قال ابن الأنباري: معنى الآية: وعد الله الذين آمنوا من هذا الجنس، أي جنس الصحابة[١]. وهذا الذي عليه جماهير المفسرين[٢].

**قال القرطبي:** «وفي الآية جواب آخر، وهو أن «من» مؤكدة للكلام، والمعنى: وعدهم الله كلَّهم مغفرة وأجرًا عظيمًا، فجرى مجرى قول العربي: قطعت من الثوب قميصًا، يريد: قطعت الثوب كلَّه قميصًا. و«من» لم يبعض شيئًا، وشاهد هذا من القرآن: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ ﴾ [الإسراء:٨٢].

**معناه:** وننزل القرآن شفاء، لأن كلَّ حرف منه يشفي، وليس الشفاء مختصًّا ببعضه دون بعض»[٣].

وذكر ابن الجوزي عن الزجاج قولًا آخر، وهو أن يكون هذا الوعد لمن أقام منهم على الإيمان والعمل الصالح[٤]. وهذا يشير إلى القول بأن

---

(١) زاد المسير (٧/ ٤٥٠).

(٢) انظر: الكشاف (٤/ ٣٤٨)، واللباب (١٧/ ٥١٨)، وروح المعاني (٢٥/ ١٢٨)، والفتوحات الإلهية (٤/ ١٧٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٩٦)، والوسيط (٤/ ١٤٧)، وأنوار التنزيل (٢/ ٤١٣). وابن كثير (١٣/ ١٢٥). والجواهر الحسان (٣/ ٢٥٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٩٦).

(٤) زاد المسير (٧/ ٤٥٠).

«من» تفيد التبعيض، وهذا ما ردّه جماهير المفسرين حذرًا من الوقوع في الصحابة وتكفيرهم كما فعلت الشيعة. إلا أن الطاهر ابن عاشور قال: «ويجوز إبقاؤه على ظاهر المعنى من التبعيض، لأن وعد الله لكل من يكون مع النبي ﷺ في الحاضر والمستقبل فيكون ذكر «من» تحذيرًا، وهو لا ينافي المغفرة لجميعهم، لأن جميعهم آمنوا وعملوا الصالحات، وأصحاب الرسول ﷺ هم خيرة المؤمنين»[١].

وهذا القول ذهب إليه ابن جرير الطبري فقد قال: «وقوله: (منهم) يعني من الشطء الذي أخرجه الزرع، وهم الداخلون في الإسلام بعد الزرع الذي وصف ربنا تبارك وتعالى صفته. والهاء والميم في قوله: (منهم) عائدة على معنى الشطء لا على لفظه، ولذلك جمع فقيل «منهم» ولم يقل: «منه» وإنما جمع الشطء لأنه أريد به من يدخل في دين محمد ﷺ إلى يوم القيامة بعد الجماعة الذين وصف الله صفتهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح:٢٩][٢].

قال السمين الحلبي: وهو معنًى حسن[٣]، وكذلك قال ابن عادل في «اللباب»[٤]، أما الآلوسي فقد قال: «وكذلك فعل البغوي ولا يخفى بعده»[٥].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٦/ ٢١١).
(٢) جامع البيان (٢٦/ ١١٥، ١١٦).
(٣) الدر المصون (٩/ ٧٢٥).
(٤) اللباب (١٧/ ٥١٨).
(٥) روح المعاني (٢٥/ ١٢٨)، وانظر معالم التنزيل (٧/ ٣٢٩).

## المبحث الخامس:

## أقوال بعض مفسري الفرق في معنى الآية
## عرض ونقـد

### المطلب الأول: اتجاهات بعض مفسري الصوفية في الآية:

يلاحظ الباحث اختلاف مفسري الصوفية في تناول هذه الآية بالبيان والتفسير.

فمنهم من اقترب من المنهج الصحيح في التفسير، وذلك بتفسير الآية على ما ذكره أئمة التفسير من الصحابة والتابعين وكبار أئمة السلف، مع نسبة بعض الأقوال إلى قائليها.

ومنهم من نحا هذا النحو، دون ذكر الأقوال، إلا أن الغالب على تفسيره هو موافقة أقوال أئمة التفسير.

ومنهم من خلط الحق بالباطل في تفسيره.

ومنهم من اعتمد على ذوقه ومواجيده في التفسير، كما هي عادة أهل التصوف، غير أن السمة البارزة في هذه التفاسير هو عدم خلوها من الشطحات والأقوال الغريبة التي تفرد بها صاحبها، ولم يوافقه عليها أحد من المفسرين المعتبرين.

فالسمرقندي ـ مثلًا ـ في «بحر العلوم» يذكر أقوالًا لمجاهد، وقولًا لابن مسعود، ويذكر اختلاف القراءات في: (شطأه) موضحًا أن ابن كثير وابن عامر قرأا «شَطَأه): بنصب الشين والطاء، والباقون بنصب الشين

وجزم الطاء؛ هكذا ذكر[١] ولم يشذ في أغلب المعاني التي ذكرها عما ذكره غيره من مفسري أهل السنة.

ولكنه عند قوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الفتح:٢٩] قال: يعني يلتمسون من الحلال[٢]. وهذا التفسير تفرد به ولم أجده في شيء مما اطلعت عليه من كتب التفسير.

أما القشيري في (لطائف الإشارات) فمع صحة المعاني التي ذكرها وموافقتها ـ في الغالب ـ لما ذكره أهل التفسير، إلا إنه لم يذكر صاحب أي قول، وكذلك ففي قوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ قال: فمن حمل الآية على الصحابة، فمن أبغضهم دخل في الكفر، لأنه قال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾. أي بأصحابه الكفارَ.

ومن حمله على المسلمين ففيه حجة على الإجماع، فمخالف الإجماع كافر»[٣].

ولم أجد أحدًا من المفسرين تعرض في هذه الآية لمسألة الإجماع، ثم إن إطلاق الكفر على مخالف الإجماع يؤدي إلى التكفير بالمعصية وهذا مذهب الخوارج.

وقد قال الرافعي: «كيف نكفر من خالف الإجماعَ، ونحن لا نكفّر من ردَّ أصل الإجماع»[٤]، والصحيح أن الإجماع على قسمين: إجماعٌ يصحبُه

(١) بحر العلوم للسمرقندي (٣/ ٣٠٥).
(٢) بحر العلوم للسمرقندي (٣/ ٣٠٤).
(٣) لطائف الإشارات (٣/ ٢١٨).
(٤) المنثور في القواعد للزركشي (٣/ ٩١).

التواتر عن صاحب الشرع كوجوب الخمس. وإجماع ظاهر لا نصَّ فيه، فالأول يكفر جاحده لمخالفته التواتر لا الإجماع، والثاني لا يكفر مخالفه[١].

أما سهل التستري، فإنه مال إلى التفسير الإشاري فقال في قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ قال: «المؤمن بالله وجْهٌ بلا قفا، مقبل عليه غير معرض عنه، ذلك سيما المؤمن»[٢]. وقد يكون هذا معنى صحيحًا، إلا أن التفسير شيء، والإشارات التي تفهم في ظلال الآيات شيء آخر.

أما السلمي في حقائق التفسير، فقد مال إلى ذوقه في تفسير الآية مع ذكر أقوال أئمة التصوف والزهد دون غيرهم من المفسرين.

ففي تفسير هذه الآية قال: «قال ابن عطاء: وصف محمدًا ﷺ بأنه رسول، والرسول لا يكون إلا أمينًا مأمونًا ظاهرًا وبَاطنًا، سرًّا وعلنًا، ووصف الصحابة الذين معه بأوصاف ثمانية، وهي أحوال خصَّت بها الخواص من أصحابه، وهو حال البقاء، واللقاء، والحمد، والوفاء، والصدق، والحياء، والصحبة، والرضاء.

فخصَّ أبا بكر منها بأحوالٍ، وهي حالة اللقاء لقول النبي ﷺ: «**إن الله يتجلى للخلق عامة، ويتجلى لأبي بكرٍ خاصة**»[٣].

---

(١) السابق (٣/ ٩١).

(٢) تفسير التستري (ص:١٤٨).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٨٣) رقم (٤٤٦٣)، وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٢٦) وقال الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (١/ ٣٣٠): «وقال في اللآئي: وقد أخرجه الحاكم في المستدرك من طريق الختلي وتعقبه الذهبي فقال: تفرد به الختلي، وأحسبه وضعه».

**وحال الصحبة، لقوله تعالى:** ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ [التوبة:٤٠].

**وحال الرضى لقوله:** ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل:٢١].

**وحال الوفاء لقوله:** لو منعوني عناقًا أو عقالًا مما كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لجاهدتهم أو لقاتلتهم.

**وحال الصدق لقوله:** ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ [الزمر:٣٣]، وخصَّ عمر بالجهد، وعثمان بالحياء، وعليًّا بالتقى رضي الله عنهم أجمعين»[(١)].

وهذا الكلام ليس من التفسير في شيء، وفيه غمط لمن سوى الصديق رضي الله عنهم أجمعين، وقد أنكر شيخ الإسلام ابن تيمية مثل هذا التفسير الذي يخصص عمومات القرآن ويحصرها في أفراد من الصحابة مع عموم لفظها[(٢)].

ثم نقل عن القاسم في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ قال: كان عمر في وقت الكفر من الذين معه في القبضة والقسمة، ومن الذين معه في الحكم والشريعة.

**وسئل الحسين:** متى كان محمد ﷺ نبيًّا؟ وكيف جاءت رسالته؟ فقال نحن بعدُ في الرسول والرسالة، والنبي والنبوة، أين أنت عن ذكر ما لا ذاكر له في الحقيقة إلا هو، وعن هوية من لا هوية له إلا بهويته؟

وأين كان النبي عن نبوته حيث جرى القلم بقوله: محمد ﷺ بالرسالة، عَظُم محله بذكره له بالرسالة، فهو الرسول المكين، والسفير الأمين، جرى

---

(١) حقائق التفسير للسلمي (٢/ ٢٥٩).

(٢) مقدمة التفسير (ص:٣٧).

ذكره في الأزل، لتمكين من الملائكة والأنبياء على أعظم محلّ وأشرف مكان»[١].

وهذا قول فيه مجازفة، وهو من القول على الله بلا علم، وقد يؤدي إلى القول بالظاهر غير المراد والباطن المراد، فالظاهر أو الشريعة للعوام والباطن أو الحقيقة للخواص، وهو طريق سلكه بعض مفسري الصوفية فقادهم إلى الخروج عن الشريعة إلى ما زعموا أنه الحقيقة.

أما ابن عجيبة فقد فسر الآية بطريقتين: طريقة شرعية معتمدة على تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة، وبأقوال الصحابة والتابعين وأئمة اللغة والمفسرين، وهذه لا غبار عليه فيها، وطريقة أخرى إشارية تجرأ فيها على كلام الله، وأخطأ في ذلك خطأ بينًا.

فمما قال: «... وما وصف به سبحانه أصحاب الرسول ﷺ فهو وصف الصوفية أهل التربية النبوية، خصوصًا طريق الشاذلية، حتى قال بعضهم: من حلف أن طريق الشاذلية عليها كانت بواطن الصحابة ما حنث»[٢]، وهذه مجازفة شديدة من صاحب هذا الكلام، وتعصبٌ واضحٌ لطريقته المخالفة لطريقة السلف الصالح.

وفي قوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ قال: «قال الورتجبي: أي يطلبون مزيد كشف في الذات، والدنو والوصال، والبقاء مع بقائه بلا عتاب ولا حجاب، وهذا محلّ الرضوان الأكبر»[٣]. والخلاصة أن لا يجوز

(١) حقائق التفسير (٢/ ٢٥٩).
(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة (٦/ ٩٩).
(٣) السابق (٦/ ٩٩).

تفسير القرآن بمثل هذا الكلام الموغل في الرمزية والإشارة، وإذا كان التفسير يزيد المعنى غموضًا أو يجعل المعنى الواضح غامضًا فما فائدته وما الهدف من ورائه؟

**المطلب الثاني: موقف الأباضية الخوارج من الآية:**

تناول مفسرو الأباضية الخوارج هذه الآية وفق تفسير أهل السنة إلا فيما يتعلق بالموقف من صحابة رسول الله ﷺ.

فمن المعلوم أن أهل السنة يحبون الصحابة ويتولونهم، ويترضون عنهم، ويعتقدون عدالتهم جميعًا، ويكفون عما شجر بينهم، فمن أصول أهل السنة والجماعة ـ على ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية ـ: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، وقبول ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم، وتفضيل من أنفق من قبل الفتح ـ وهو صلح الحديبية ـ وقاتل على من أنفق من بعد وقاتل، والإيمان بمغفرة الله لأهل بدر، وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر، وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، كما أخبر به النبيُّ ﷺ[1]، بل لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

وكذلك يشهدون بالجنة لمن شهد له رسولُ الله ﷺ كالعشرة وثابت بن قيس بن شماس وغيرهم من الصحابة.

ويشهدون أن خير هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر، ثم عمر، واختلفوا في عثمان وعليّ، فمنهم من قدم عثمان، ومنهم من قدم عليًّا، واستقر أمرهم

(١) انظر العقيدة الواسطية (٤١).

على تقديم عثمان ثم عليّ، وأجمعوا على أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ، ومن طعن في خلافة أحد هؤلاء فهو أضلُّ من حمار أهله.

**ومن أصولهم:** تولي أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين خصوصًا خديجة رضي الله عنها أمُّ أكثر أولاده، والصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها.

**ومن أصولهم:** التبرؤُ من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهلَ البيت بقول أو عمل.

ويمسكون عما شجر بين الصحابة.

**ويقولون:** إن هذه الآثار المروية في مساويهم: منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص، وغيِّر عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون؛ إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون.

وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحدٍ من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولكن لهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم، لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم.

وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون، وأن المدَّ من أحدهم إذا تصدّق به كان أفضل من جبل أحدٍ ذهبًا ممن بعدهم.

ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب، فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ الذين هم

أحقُّ الناس بشفاعته.

أو ابتلى ببلاء في الدنيا كُفِّر به عنه. فإذا كان هذا في الذنوب المحقَّقة، فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين؛ إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا لهم أجر واحد، والخطأ مغفور، ثم القدْر الذي يُنكر من فعلهم قليلٌ نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم[1].

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في صحابة رسول الله ﷺ، أما الخوارج الأباضية، فإنهم يطعنون في عدد من أجلّاء الصحابة، ويقعون فيهم كعثمان وعلي وعمرو بن العاص ومعاوية وطلحة والزبير وأصحاب الجمل رضي الله عنهم أجمعين. ولا يترضون على جميع الصحابة فيقولون: نترضى عنهم إلا من أحدث، ويعدّون جملة من خيار الصحابة على أنهم أحدثوا، وبهذا يوافقون الرافضة والمعتزلة إلا أنهم أقلّ غلوًّا من الرافضة.

وهذه مسألة كبيرة تُعَدُّ من الفوارق الرئيسية بينهم وبين أهل السنة، كما تعدُّ من الأصولِ الكبرى التي أخرجتهم عن منهج السلف، وجعلتهم في عداد الفِرق المنحرفة وأهل الأهواء[2].

والملاحظ أن هؤلاء الناس مختلفون جدًّا في مواقفهم من الصحابة، بل إنك ترى الشخص الواحد منهم تتناقض أقواله في هذه المسألة، فيأتي بالأعاجيب التي تدلُّ على التخبط الواضح واتباع الهوى والتعصب للمذهب بغير حق.

---

(١) انظر العقيدة الواسطية لابن تيمية (ص:١١٥ ـ ١٢١) باختصار.

(٢) الخوارج للدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل (ص:٩٨).

ومن الأمثلة على ذلك قول يوسف إطفيش في «تيسير التفسير» عند قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ قال: و«من» للبيان، فإنها تأتي للبيان مع الضمير، كما تأتي له مع الظاهر» ثم قال: «ولم أر أحدًا أقرب إلى الشرك من الشيعة إذ جعلوا «من» للتبعيض وحكموا بالردة على من لم يبايع عليًّا بعد وفاة رسول الله ﷺ، كيف يمدح الله قومًا مرتدين، ويذكر الله أنه راضٍ عنهم، وهو عالم الغيب، وكيف يمدح قومًا أكثرهم يرتدون، وهم أهل بيعة الرضوان حاشاهم، وهم مذكورون في القرآن والتوراة والإنجيل بأنهم أولياء الله عزَّ وجلَّ»[1].

وقال إطفيش نفسه في تفسيره الآخر «هميان الزاد» في الآية نفسها: و«من» للتبعيض، فخرج من لم يأت بالعمل الصالح، أو أتى به وأبطله بمثل قتل حرقوص[2]، وضرب ابن مسعود، وضرب أبي ذرّ وغير ذلك.

**وقال القوم**: هي للبيان، ليدخل جميع الصحابة.

**وعن ابن جبير**: الضمير للشطء، وأن الشطء من يولد ويؤمن إلى يوم القيامة، والجمع نظر للمعنى.

إذا سلَّمنا أنها للبيان، لكن لا بد من إخراج من لم يمت على الوفاء، وهذه أحاديث نصٌّ في الإخراج، وما ورد من الأحاديث في المدح فمحمول على ذلك الشرط والتخصيص»[3].

---

(١) تيسير التفسير (١/ ١٧١).

(٢) حرقوص بن هبيرة، ويقال ابن زهير الكوفي، قتل مع الخوارج يوم النهروان. انظر تاريخ مدينة دمشق (١٢/ ٣١٩).

(٣) هميان الزاد (١٣/ ٩٠).

فانظر كيف جعل «من» في كلامه الأول للبيان، ووصف الشيعة بأنهم أقرب الطوائف إلى الشرك، لأنهم جعلوا «من» للتبعيض، ثم هو في كلامه هذا يجعل «من» للتبعيض، ويفعل فعل الشيعة بقوله: «فخرج من لم يأت بالعمل الصالح، أو أتى به وأبطله»!!

وهو يتعجب في كلامه الأول من الشيعة الذين كفروا من مدح الله في كتابه وذكر أنه راضٍ عنهم، إذ كيف يمدح قومًا أكثرهم يرتدون....الخ»؟

ثم هو في كلامه الثاني يستثني من هؤلاء الذين مدح الله في كتابه وأخبر أنه عنهم راض قومًا زاعمًا أنهم لم يموتوا على الوفاء، أليس هذا هو عين فعل الشيعة الذي ذمّه من قبل؟!

وهذه الأحاديث التي زعم أنها نصٌّ في الإخراج هي التي أشار إليها ابن تيمية وذكر أن منها ما هو كذب، ومنها ما حرّف وغيّر، وما صحَّ منها فهم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون، أو مجتهدون مخطئون. فكيف نترك عشرات الأحاديث الصحيحة في فضائل الصحابة ونعتمد على هذه الأخبار التي لا تصح أو التي لا دلالة فيها على الطعن في الصحابة!

ثم تابع إطفيش افتراءاته على الصحابة وتناقضاته في هذا الباب فزعم أن من توقف فيه أصحابه من الأباضية فلفعل سوء ارتكبه الصحابي لا يُبَلِّغه البراءة.

وأشار إلى أن الصحابة عندهم أقسام:

- قسم يوالونهم كأبي بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي عبيدة رضي الله عنهم.

▪ **وقسم يعادونهم** ويتبرأون منهم كعثمان وعليّ وطلحة وجميع من رضي بحكومة الحكمين.

▪ **وقسم يتوقفون** فيهم كأبي هريرة وابن عمر وغيرهم.

وهو في سبيل تقرير هذا المذهب الباطل يتأول الأحاديث الصحيحة التي جاءت في فضائل الصحابة كقوله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهبًا ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه**»[(١)] فيعلق على هذا الحديث قائلًا: «هذا فيمن لم يرد فيه خبر منه ﷺ بذمّه»[(٢)]، ولست أدري أين هي الأحاديث التي جاءت في ذمّ عليّ وعثمان حتى يعادوهما ويتبرأون منهما؟!

ولعله يظن أن مثل قول النبيّ ﷺ في معاوية رضي الله عنه:

«**لا أشبع الله بطنه**» ذمٌّ له، والأمر على خلاف ذلك ونصُّ الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت ألعب مع الصبيان، فجاء رسول الله ﷺ، فتواريتُ خلف بابٍ، قال: فجاء فحَطَأَني حَطْأَةً[(٣)]، وقال: «**اذهب وادع لي معاوية**» قال: فجئت فقلت: هو يأكل، ثم قال: «**اذهب فادع لي معاوية**» قال: فجئت فقلت هو يأكل، فقال: «**لا أشبع الله بطنه**»[(٤)]. ذكر النووي

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) همیان الزاد (١٣/ ٩٠).

(٣) قوله: «فحطأني حطأة» الحَطْء هو الضرب باليد مبسوطة بين الكتفين وهو من باب الملاطفة. ذكره النووي.

(٤) أخرجه مسلم رقم (٢٦٠٤) كتاب البر والصلة، باب من لعنه النبيُّ ﷺ أو سبّه أو دعا عليه، وليس هو أهلاً لذلك.

رحمه الله أن هذا الحديث وأمثاله يندرج تحت قوله ﷺ: «**اللهم إنما أنا بشر، فأيُّ المسلمين لعنته، أو سببته فاجعله له زكاة وأجرًا**»[(١)]، وفي رواية: «**أو جلدته فاجعلها له زكاة وأجرًا**»[(٢)]، وفي رواية: «**إني اشترطت على ربي فقلت: إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر، فأيما أحد دعوتُ عليه من أمتي بدعوةٍ ليس لها بأهل، أن تجعلها له طهورًا وزكاة وقربة**»[(٣)].

**قال النووي**: «فإن قيل: كيف يدعو على من ليس هو بأهل الدعاء عليه، أو يسبَّه أو يلعنه ونحو ذلك؟

**فالجواب ما أجاب به العلماء ومختصره وجهان:**

**أحدهما**: أن المراد: ليس بأهلٍ لذلك عند الله تعالى، وفي باطن الأمر، ولكنه في الظاهر مستوجب، فيظهر له ﷺ استحقاقه لذلك بأمارة شرعية، ويكون في باطن الأمر ليس أهلًا لذلك، وهو ﷺ مأمور بالحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر.

**والثاني**: أن ما وقع من سبّه ودعائه ونحوه ليس بمقصود، بل هو مما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نية كقوله: «تربت يمينك» «عقرى حلقى» وفي هذا الحديث: «لا كبرت سنك» وفي حديث معاوية: «لا أشبع الله بطنك» ونحو ذلك، لا يقصدون بشيء من ذلك حقيقة الدعاء،

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٦٠٠) كتاب البر والصلة، باب من لعنه النبي ﷺ.
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٠١). الكتاب والباب نفسه.
(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/ ١٥٢).

فخاف ﷺ أن يصادف شيء من ذلك إجابة، فسأل ربّه سبحانه وتعالى، ورغب إليه أن يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربة وطهورًا وأجرًا»[١].

**وقال أيضًا:** «وأما دعاؤه على معاوية أن لا يشبع حين تأخر ففيه الجوابان السابقان:

**أحدهما:** أنه جرى على اللسان بلا قصد.

**والثاني:** أنه عقوبة لتأخره. وقد فهم مسلم رحمه الله من هذا الحديث أن معاوية لم يكن مستحقًا للدعاء عليه، فلهذا أدخله في هذا الباب، وجعله غيره من مناقب معاوية، لأنه في الحقيقة يصير دعاءً له»[٢].

ويا ليت يوسف إطفيش وأضرابه اكتفوا بهذا الخطأ، بل إنه أضاف إلى ذلك أخطاء أخرى، فقد كذب الأحاديث الصحيحة بهواه فقال: «وقال في الخاصة: أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة في الجنة» ولم يصحّ عد عثمان وعليّ فيهم... وصعد أحدًا فرجف فقال: «اثبت، إنما عليك نبي وصديق وشهيد» يعني أبا بكر وعمر، ولم يصحّ عد عثمان في الشهادة مع عمر... وقال: «رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة، وصحبني في الغار، وأعتق بلالًا من ماله، رحم الله عمر، يقول الحق وإن كان مرًّا، تركه وما له من صديق». وكيف يصح أن يقول: رحم الله عثمان تستحي منه الملائكة، ورحم الله عليًّا، اللهم أدر الحق معه حيث دار، مع ما وصفهما به من الوقوع في الفتنة؟!

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٠١). الكتاب والباب نفسه.

(٢) المصدر السابق (١٦/ ١٥٦).

فإن صح قوله ذلك، فإنما قاله قبل علمه بما يُحدثان بعده[١]، وهذا الكلام فيه جملة أخطاء منها:

أولًا: إنكار الأحاديث الصحيحة في فضائل عثمان وعلي رضي الله عنهما فمن فضائل عثمان ما رواه أنس رضي الله عنه قال: صعد النبيُّ ﷺ أحدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فضربه برجله وقال: **«اسكن أحد، فليس عليك إلا نبيٌّ وصديق وشهيدان»**[٢].

وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: إن النبيّ ﷺ دخل حائطًا، وأمرني بحفظ باب الحائط، فجاء رجل يستأذن فقال: **«ائذن له وبشره بالجنة»**، فإذا أبو بكر. ثم جاء رجل يستأذن فقال له: **«ائذن له وبشره بالجنة»** فإذا عمر، ثم جاء آخر يستأذن، فسكت هُنيهةً ثم قال: **«ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه»** فإذا عثمان بن عفان[٣].

وفضائله رضي الله عنه كثيرة معلومة. ومن فضائل عليّ رضي الله عنه قوله ﷺ: **«أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعليّ في الجنة»**[٤]، فجاء إطفيش فزعم أنه لم يصح عدّ عثمان وعلي فيهم.

---

(١) هميان الزاد (١٣/ ٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٩٦) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٩٠) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان، ومسلم (٢٤٠٣) كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الترمذي رقم (٣٧٤٧) كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف. وابن ماجه رقم (١٣٣) في المقدمة، باب فضائل العشرة، والنسائي في الكبرى رقم (٨١٩٤) كتاب المناقب، باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح.

ومن فضائله ﷺ قول علي ﷺ: «والذي فلق الحبةَ وبرأ النَّسَمة، إنه لعهد النبيّ ﷺ الأمي إليَّ؛ أنه لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق»[1]. وفضائله ﷺ كثيرة حتى إن الإمام أحمد رحمه الله قال: ما ورد لأحدٍ من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما ورد لعليّ[2].

**ثانيًا:** اتباع الهوى في الحكم على الأحاديث حيث زعم أولًا أنه لم يصح عدّ عثمان وعليّ في المبشرين بالجنة، وقد صحّ ذلك.

**وزعم ثانيًا:** أنه لم يصحّ عد عثمان في الشهادة، وقد صحَّ ذلك والحديث في الصحيحين.

**وزعم ثالثًا:** أن النبي ﷺ ذمَّ عليًّا وعثمان ووصفهما بالفتنة وهذه فرية سيسأله الله عنها يوم القيامة.

ثم قوله: «فإن صحّ قوله ذلك فإنما قاله قبل علمه بما يُحدثان بعده!!» فهذا كلام باطل لا يليق إذ كيف يصف النبي ﷺ شخصًا بأنه من أهل الجنة، أو أن يصف شخصًا بأنه شهيد، ثم لا يكون كذلك؟

أليس هذا اتهامًا للنبيّ ﷺ بأنه لا يقول الحق، وبأنه لم يحسن اختيار أصحابه، وبأنه لم يحسن اختيار الأزواج لبناته!! ثم إن القول بأن النبيَّ ﷺ قال ذلك قبل علمه بما يحدثان بعده يؤدي إلى إبطال جميع أحاديث الفضائل للعلة ذاتها وهذا باطل.

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٧٨) كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حبَّ الأنصار وعليّ ﷺ من الإيمان.

(٢) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (٢/ ٣٥٣).

ويستمر إطفيش في سرد أخطائه فيقول: «وكان أبو محمد بن محبوب يقف عن الحسن والحسين، وقال: لم أجد أحدًا عاب الحسين بشيء، غير أنه أعان على قتل ابن ملجم فيما قال أبو صفرة والله أعلم أكان أم لا.

والحسين أحسن حالًا، وقلبي عليه أرأف، إذ كان يُرمى بالنبل، ودمه ينضحُ، وكتب إليه يزيد بن معاوية: أن يبايعه فهرب إلى مكة، ثم خرج وأتبعه زيادًا بجنودٍ فقتلوه»[1].

وإذا كانت المسألة تخضع للعاطفة ورقة القلب فلماذا لم يرق قلبه على عثمان الذي ذبح وهو يتلو القرآن، أو على عليّ الذي قتل وهو يوقظ الناس للصلاة!!

ثم يعود القهقرى فيقول: «ووقف فيهما[2] ـ بعض المسلمين ـ[3] مثل ابن محبوب، وتبرأ منهما بعض، وبالبراءة جزم في الضياء»[4]، هكذا ضاربًا بالأحاديث الصحيحة التي وردت في فضلهما عرض الحائط، بل بالآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣].

ثم يقول: «وتبرءوا من علي وعثمان وطلحة، وجميع من رضي بحكومة الحكمين وحسان... ووقفوا في محمد بن مسلمة، وابن عمر، وسعد بن أبي

---

(١) همیان الزاد (١٣/ ٩١).
(٢) أي في الحسن والحسين.
(٣) أي بعض الخوارج.
(٤) همیان الزاد (١٣/ ٩١).

وقاص، وأبي هريرة، وأبي الدرداء، وأبي أمامة، وكعب الأحبار، وعبد الله بن سلام، قال: وأشكّ في زيد ابن ثابت أهو في الولاية أم لا؟!

وما سمعت في عبد الرحمن بن أبي بكرٍ إلا خيرًا.

وتولوا أبا بكرٍ وعمر، وأبا عبيدة بن الجراح...»[1]، وذكر طائفة ثم تظاهر بالإنصاف فقال: «واعلم يا أخي أن الاقتصار على هؤلاء تحجير للواسع، وقد ثبت من رواية أبي عبيدة عن جابر بن زيد رضي الله عنهما، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يغفر الله لأبي عبد الرحمن، وهو ابن عمر، وهذه منها ولاية له، وإذا ثبتت ولايته لم يتوقف فيه لشيء رئي فيه مما لا تدخل عليه الولاية، بل يُتولى حتى يُرى منه موجب براءة»[2].

فلماذا أثبت لابن عمر هنا الولاية لمجرد قول عائشة رضي الله عنها: يغفر الله لأبي عبد الرحمن، ولم يثبت الولاية لعثمان وعليّ على الرغم من وجود عشرات الأحاديث الصحيحة من النبي ﷺ في فضائلهما وشهادتهما وأنهما من أهل الجنة!!

ولماذا لم يقل هنا: لعل الذي قالته عائشة لابن عمر كان قبل أن يُحدث كما قال في عثمان وعلي؟ أم هو اتباع الهوى والجهل وعدم الإنصاف!

ونقول لهذا الرجل وأمثاله: من أنت حتى تقسم أصحاب رسول الله ﷺ هذا التقسيم، فهذا نتولاه، وهذا نتوقف فيه، وهذا نتبرأ منه، وهذا ينقل من الولاية إلى البراءة، أومن البراءة إلى الولاية، أو من التوقف إلى الولاية،

(١) هميان الزاد (١٣/ ٩١).
(٢) هميان الزاد (١٣/ ٩١).

هل كلفك الله تعالى بذلك؟ والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]، ويقول: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]، إنك لو قسمت هذا التقسيم على غير صحابة رسول الله ﷺ لكنت مخطئًا، متعديًا قدرك، مشتغلًا بغير ما أُمرت به وكلفت، فكيف بصحابة رسول الله ﷺ الذين مدحهم الله وأثنى عليهم ورضي عنهم وأرضاهم، ومدحهم رسوله ﷺ، ومات وهو راضٍ عنهم، ونهى عن سبّهم وإيذائهم، وأخبر أنهم أَمَنَةٌ للأمة، فإذا ماتوا حلَّ بالأمة وعد الله من النكبات والفتن والتراجع.

**المطلب الثالث: موقف الرافضة الإمامية من الآية:**

هناك جملة من الأخطاء وقع فيها مفسرو الشيعة الإثنا عشرية في الآية، وكلها أو جلُّها مرتبط بمواقفهم من صحابة رسول الله ﷺ، فمن المعلوم أن الشيعة الاثني عشرية وهي من فرق الإمامة تكفر عامة الصحابة، ومنهم أبو بكر وعمر وعثمان، وتطعن في خلافتهم، وتلعنهم، وتلعن سائر الصحابة، وأمَّ المؤمنين عائشة ﵂، ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهؤلاء الرافضة إن لم يكونوا شرًّا من الخوارج المنصوصين فليسوا دونهم، فإن أولئك إنما كفروا عثمان وعليًّا، وأتباع عثمان وعليّ فقط؛ دون من قعد عن القتال أو مات قبل ذلك.

والرافضة كفرت أبا بكر وعمر وعثمان وعامة المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكفروا جماهير أمة محمد ﷺ من المتقدمين والمتأخرين»[1].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٨/ ٤٧٧).

ومن الطبيعي أن يقوم أصحاب هذا المذهب بتوجيه هذه الآية التي فيها مدح للصحابة وثناء عليهم نحو ما يوافق مذهبهم، ومن محاولاتهم في ذلك: صرف قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ إلى غير الصحابة، فقد قال الجنابذي في (تفسير بيان السعادة): ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ «والذين معه في المرتبة رسل الله، وعلى الوجه الثاني: محمد رسول الله ﷺ مع الذين معه. ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ أو عطف على رسول الله ﷺ على الوجه الأول، والمعنى: محمد رسول الله ﷺ وهو الذين معه في الدرجة، فإنه لا فرق بينه وبين من كان معه في الدرجة، أو هو الذين معه بالبيعة والتوبة، فإنه وإن كان غيرهم بوجه، لكنه فعليَّتهم الأخيرة، وقد مرَّ مرارًا أن شَيْئيَّة الشيء بفعليَّته الأخيرة، فشيئيَّتهم التي هي فعليَّتهم الأخيرة محمد ﷺ باعتبار تنزله بصورته إلى مراتبهم، فإنه قد مضى مكررًا أن البيعة تورث تكيّف البائع بحسب نفسه وفعليته»[1].

فانظر كيف عدل عن المعنى الواضح الذي أجمع عليه المفسرون من جميع الطوائف إلى ألغاز وطلاسم لا معنى لها!

وهو بعد ذلك يحاول الطعن في موسى وعيسى عليهما السلام ليتوصل بذلك إلى أن مَثَل أصحاب النبي ﷺ في التوراة والإنجيل لا يدل على فضيلتهم فيقول: «والكامل المطلق من كان نظره إلى الطرفين متساويًا من غير ترجّح لأحد الطرفين على الآخر وهو شأن محمد ﷺ والذين معه.

---

(١) تفسير بيان السعادة (٤/ ٢٥٠).

وأما سائر الأنبياء عليهم السلام فلا يخلو أحدٌ منهم من رجحان أحد الطرفين، وأن موسى عليه السلام كان نظره إلى الكثرات غالبًا على نظره إلى الوحدة، وعيسى عليه السلام كان نظره إلى الوحدة غالبًا، ولذا نُقل فيما نقل أن محمدًا ﷺ قال: «إن أخي موسى عليه السلام كانت عينه اليمنى عمياء، وأخي عيسى عليه السلام كان عينه اليسرى عمياء، وأنا ذو العينين»[1].

وهذا الحديث لا أصل له، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعروفة، والنبيّ ﷺ ما كان يصف إخوانه من الأنبياء إلا بالخصال الحميدة والخلال الحسنة الجميلة.

ثم يقول: « ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالبيعة العامة. ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بالبيعة الخاصة، فإنها أصل جميع الصالحات، ومن بايع البيعة الخاصة، كان كأنه عمل جميع الصالحات. أو آمنوا بالبيعة الخاصة وعملوا الصالحات على طبق ما أخذ منهم في بيعتهم. ﴿مِنْهُم﴾ من الناس أو من الذين آمنوا، أو من الذين مع محمد ﷺ ، ﴿مَّغْفِرَةً﴾ سترًا لمساويهم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ لا يمكن أن يوصف»[2].

وهذا تفسير محدث، وليس في شيء من كتب التفسير المعتمدة أو أقوال المفسرين ذكر للبيعة العامة والخاصة، وإنما هو خاص بمسألة الإمامة التي يجعلها الشيعة أصلًا من أصول الإيمان.

ويروون في ذلك أيضًا حديثًا لا يصح، فقد ذكر الفيض الكاشاني في

---

(١) تفسير بيان السعادة (٤/ ٢٥٠).

(٢) تفسير بيان السعادة (٤/ ٢٥١).

تفسيره: «الصافي في تفسير كلام الله الوافي» قال: «في الأمالي عن النبيِّ ﷺ أنه سئل فيمن نزلت هذه الآية؟ قال: إذا كان يوم القيامة، عقد لواء من نورٍ أنور، ونادى منادٍ: ليقم سيد المؤمنين، ومعه الذين آمنوا- وقد بعث الله محمدًا- فيقوم علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما، فيعطي الله اللواء من النور الأبيض بيده، تحته جميع السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، لا يخالطهم غيرهم، حتى يجلس على منبر من نور ربّ العزة!! ويعرض الجميع عليه رجلًا رجلًا، فيعطى أجره ونوره، فإذا أتى على آخرهم قيل لهم: قد عرفتم موضعكم ومنازلكم من الجنة، إن ربكم يقول لكم: عندي لكم مغفرة وأجر عظيم - يعني الجنة - فيقوم علي بن أبي طالب عليه السلام، والقوم تحت لوائه معهم حتى يدخل الجنة، ثم يرجع إلى منبره، ولا يزال يُعرض عليه جميع المؤمنين، فيأخذ نصيبه منهم إلى الجنة، ويترك أقوامًا على النار. الحديث».

ولا يخفى أن مثل هذا لا يصح عن النبيّ ﷺ، بل هو من وضع الرافضة الذين هم من أكثر الناس كذبًا على رسول الله ﷺ. قال في مختصر التحفة الاثني عشرية: «ومن مكايدهم أنهم يفترون على النبي ﷺ في أنه قال: «لا تُسال شيعة علي يوم القيامة عن صغيرة ولا كبيرة، بل تبدَّل سيئاتهم بالحسنات» وأنه ﷺ قال: «قال الله تعالى: لا أعذب أحدًا والي عليًّا وإن عصاني!!» فاغتر بهذا بعض الجهال فها هو في أودية الضلال، مع أنه قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٨] فقد كذبوا على النبي المختار، فليتبوءوا مقعدهم من النار»[1].

(١) مختصر التحفة الاثني عشرية للسيد محمود شكري الألوسي (ص:٣٥).

**وقال ابن تيمية:** «فهم أشدّ ضررًا على الدين وأهله، وأبعد عن شرائع الإسلام من الخوارج الحرورية، ولهذا كانوا أكذب فرق الأمة، فليس في الطوائف المنتسبة إلى القبلة أكثر كذبًا، ولا أكثر تصديقًا للكذب، وتكذيبًا للصدق منهم، وسيما النفاق فيهم أظهر منه في سائر الناس»[1].

ونظرًا لأنهم يبغضون الصحابة، فقد حاول بعضهم صرف معنى الكفار في قوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ عن حقيقته، فقال الطبرسي في «مجمع البيان في تفسير القرآن»: «والكفار: الزراع هنا، لأن الزارع يغطي البذر، وكل شيء قد غطيته فقد كفرته، ومنه يقال لليل: كافر، لأنه يستر بظلمته كل شيء»[2]. ولست أدرى لماذا عدل عن المعنى الواضح المباشر إلى معنى آخر لا دليل عليه، ولا حاجة إليه، وعلى قوله يكون المعنى هكذا: «يعجب الزراع ليغيظ بهم الزراع» وهذا ليس بشيء، لأنه مخالف لمن يعتدُّ بأقوالهم من المفسرين.

وقد مرَّ أن الإمام مالك رحمه الله، إمام دار الهجرة قد استخلص من الآية كفر من غاظه الصحابةُ فقال: «من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحدٍ من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية، ذكره الخطيب أبو بكر[3].

قال القرطبي معلقًا على ذلك: «قلت: لقد أحسن مالك في مقالته، وأصاب في تأويله، فمن نقص واحدًا منهم، أو طعن عليه في روايته، فقد

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨/ ٤٧٩).
(٢) تفسير مجمع البيان (٩/ ١٨٠).
(٣)الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٩٧)، والبحر المحيط (٨/ ١٠٢)، ومعالم التنزيل (٧/ ٣٢٨).

ردَّ على الله ربّ العالمين، وأبطل شرائع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ الآية. وقال: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨] إلى غير ذلك من الآيات التي تضمنت الثناء عليهم والشهادة لهم بالصدق والفلاح... فحذار من الوقوع في أحدٍ منهم كما فعل من طعن في الدين فقال: إن المعوّذتين ليستا من القرآن، وما صحَّ حديث عن رسول الله ﷺ في تثبيتهما ودخولهما في جملة التنزيل إلا عن عقبة بن عامر، وعقبة بن عامر ضعيف!! لم يوافقه غيره عليها، فروايته مطّرحة.

وهذا ردٌّ لما ذكرناه من الكتاب والسنة، وإبطال لما نقلته لنا الصحابة من الملة، فإن عقبة بن عامر بن عيسى الجهني ممن روى لنا الشريعة في الصحيحين البخاري ومسلم وغيرهما، فهو ممن مدحهم الله ووصفهم وأثنى عليهم، ووعدهم مغفرة وأجرًا عظيمًا.

فمن نسبه أو واحدًا من الصحابة إلى كذب فهو خارج عن الشريعة مبطل للقرآن، طاعن على رسول الله ﷺ. و متى أُلحق واحد منهم تكذيبًا فقد سُبَّ، لأنه لا عار ولا عيبَ بعد الكفر بالله أعظم من الكذب، وقد لعن رسول الله ﷺ من سبَّ أصحابه[1]، فالمكذب لأصغرهم ـ ولا صغير فيهم ـ داخل في لعنة الله التي شهد بها رسول الله ﷺ، وألزمها كل من سبَّ واحدًا من أصحابه أو طعن عليه»[2]، ثم قال: «فالصحابة كلهم عدول، أولياء الله

(١) في حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «لعن الله من سبَّ أصحابي» أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٤٢٤) رقم (١٣٥٨٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (٥١١١).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٩٧، ٢٩٨).

تعالى وأصفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله، هذا مذهب أهل السنة، والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة.

وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم.

ومنهم من فرق بين حالهم في بُداءة الأمر فقال: إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك، ثم تغيرت بهم الأحوال، فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء، فلابد من البحث، وهذا مردود، فإن خيار الصحابة وفضلاءهم كعليّ وطلحة والزبير وغيرهم ﷺ ممن أثنى الله عليهم وزكّاهم ورضي عنهم وأرضاهم، ووعدهم الجنة بقوله تعالى: ﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة، بإخبار الرسول، هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبيّهم بإخباره لهم بذلك. وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم، إذ كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد، وكل مجتهد مصيب»[1].

ومن محاولات الرافضة لصرف الآية عن معنى تعديل الصحابة جميعًا والثناء عليهم جميعًا القول بأن «من» ـ في قوله تعالى: ﴿مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ـ للتبعيض. فقد قال الطبرسي: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: «أي وعد من أقام على الإيمان ﴿مِنْهُم مَّغْفِرَةً﴾ أي سترًا على ذنوبهم الماضية، ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي ثوابًا جزيلًا دائمًا»[2]. وقال الطوسي

(١) المصدر السابق (١٥/ ٢٩٩).
(٢) مجمع البيان (٩/ ١٨١).

في: «التبيان الجامع لعلوم القرآن»: «قيل: إنه بيان يخصهم بالوعد دون غيرهم، وقيل أن يكون ذلك شرطًا فيمن أقام على ذلك منهم، لأن من خرج عن هذه الأوصاف بالمعاصي، فلا يتناوله هذا الوعد»[1]، وقد صرّح بالمراد الطباطبائي في (الميزان في تفسير القرآن) فقال: «[من] للتبعيض على ما هو الظاهر المتبادر من مثل هذا النظم، ويفيد الكلام اشتراط المغفرة والأجر العظيم بالإيمان حدوثًا وبقاءً، وعمل الصالحات، فلو كان منهم من لا يؤمن أصلًا كالمنافقين، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة:١٠١]، أو آمن أولًا ثم أشرك وكفر كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ [محمد:٢٥] إلى أن قال: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ﴾ [محمد:٣٠] أو آمن ولم يعمل الصالحات كما يستفاد من آيات الإفك، وآية التبين في نبأ الفاسق وأمثال ذلك لم يشمله وعد المغفرة والأجر العظيم».

ثم قال: «ونظير هذا الاشتراط ما تقدم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:١٠]... ونظير الآية في الاشتراط قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٥٥] وقيل: إن «من» في الآية بيانية لا تبعيضية فتفيد شمول الوعد لجميع الذين معه، وهو مدفوع ـ كما قيل ـ بأن «من»

---

(١) التبيان الجامع لعلوم القرآن (٩/ ٣١٠).

البيانية لا تدخل على الضمير مطلقًا في كلامهم»[1].

وللرد على هذا الكلام نقول:

**أولًا: «من» للبيان وليس للتبعيض في الآية:**

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية:** «فإن قيل: لم قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾ [الفتح:٢٩] ولم يقل: وعدهم كلَّهم.

قيل: كما قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [النور:٥٥]. ولم يقل: وعدكم.

و«من» تكون لبيان الجنس، فلا يقتضي أن يكون قد بقي من المجرور بها شيء خارج عن ذلك الجنس، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج:٣٠] فإنه لا يقتضي أن يكون من الأوثان ما ليس برجس. وإذا قلت: ثوب من حرير، فهو كقولك ثوب حرير، وكذلك قولك باب من حديد، فهو كقولك: باب حديد، وذلك لا يقتضي أن يكون هناك حرير وحديد غير المضاف إليه، وإن كان الذي يتصوره كليًّا، فإن الجنس الكليَّ هو ما لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه، وإن لم يكن مشتركًا فيه في الوجود.

فإذا كانت «من» لبيان الجنس كان التقدير: وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هذا الجنس، وإن كان الجنس كلّهم مؤمنين صالحين...

---

(١) الميزان في تفسير القرآن (١٨/ ٥).

ولما قال لأزواج النبي ﷺ: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب:٣١] لم يمنع أن يكون كل منهن تقنت لله ورسوله وتعمل صالحًا.

ولما قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:٥٤] لم يمنع هذا أن يكون كل منهم متصفًا بهذه الصفة، ولا يجوز أن يقال: إنهم لو علموا سوءًا بجهالة ثم تابوا من بعده وأصلحوا لم يغفر إلا لبعضهم.

ولهذا تدخل «من» هذه في النفي لتحقيق نفي الجنس، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطور:٢١]، وقوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٦٢]، ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة:٤٧]. ولهذا إذا دخلت في النفي تحقيقًا أو تقديرًا أفادت نفي الجنس قطعًا، فالتحقيق ما ذكر، والتقدير كقوله تعالى: ﴿إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الصافات:٣٥]، وقوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة:٢] ونحو ذلك»[1].

**ثانيًا:** شبهة أن هؤلاء كان فيهم منافقون فينبغي القول بأن «من» للتبعيض لإخراج هؤلاء.

وقد أجاب على هذا أيضًا شيخ الإسلام فقال: «فإن قيل: فالمنافقون كانوا في الظاهر مسلمين.

قيل: المنافقون لم يكونوا متصفين بهذه الصفات، ولم يكونوا مع

(١) مختصر منهاج السنة النبوية اختصره الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان (ص:٧٩، ٨٠).

الرسل والمؤمنين، ولم يكونوا منهم، كما قال تعالى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٥٢-٥٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [العنكبوت:١٠-١١] فأخبر أن المنافقين ليسوا من المؤمنين ولا من أهل الكتاب.

وهؤلاء لا يوجدون في طائفة من المتظاهرين بالإسلام أكثر منهم في الرافضة ومن انطوى عليهم، فدلَّ هذا على أن المنافقين لم يكونوا من الذين آمنوا معه، والذين كانوا منافقين منهم من تاب عن نفاقة وانتهى عنه، وهم الغالب.... وبالجملة فلا ريب أن المنافقين كانوا مغمورين مقهورين أذلاء، لا سيما في آخر أيام النبيّ ﷺ، وفي غزوة تبوك، لأن الله تعالى قال: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون:٨] فأخبر أن العزة للمؤمنين لا للمنافقين، فعلم أن العزة والقوة كانت في المؤمنين، وأن المنافقين كانوا أذلاء بينهم.

فيمتنع أن تكون الصحابة الذين كانوا أعز المسلمين في المنافقين، بل ذلك يقتضي أن من كان أعز كان أعظم إيمانًا.

ومن المعلوم أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ـ الخلفاء الراشدين وغيرهم ـ كانوا أعز الناس، وهذا كله مما يبين أن المنافقين كانوا ذليلين في المؤمنين.

فلا يجوز أن يكون الأعزاء من الصحابة منهم، ولكن هذا الوصف مطابق للمتصفين به من الرافضة وغيرهم، والنفاق والزندقة في الرافضة أكثر منه في سائر الطوائف.... وفي الجملة كل ما في القرآن من خطاب المؤمنين والمتقين والمحسنين، ومدحهم والثناء عليهم فهم[1] أول من دخل في ذلك من هذه الأمة، وأفضل من دخل في ذلك من هذه الأمة، كما استفاض عن النبي ﷺ من غير وجه أنه قال: «**خير القرون القرنُ الذي بُعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[2]،[3].

**ثالثًا:** القول بأن كثيرًا من الصحابة ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ يأباه سياق الآية «فإن مدحهم السابق بما يدل على الاستمرار والتحدي كقوله تعالى: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ وَوَصْفهم بما يدل على الدوام والثبوت كقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ يأبى التبعيض والارتداد الذي زعموه عند من له أدنى إنصاف وشمة من دين، ويزيد زعمهم هذا سقوطًا عن درجة الاعتبار أن مدحهم ذاك قد كتبه الله تعالى في التوراة قبل أن يخلق

---

(١) أي الصحابة رضي الله عنهم.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٢٥٠٨، ٢٥٠٩) كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور. ومسلم رقم (٢٥٣٣) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم.

(٣) مختصر منهاج السنة النبوية (ص:٨١ - ٨٤) باختصار.

السموات والأرض، ولا يكاد عاقل يقبل أنه تعالى أطلق المدح وكتبه لأناس لم يثبُت على تلك الصفة إلا قليلًا منهم.

وإذا قلنا إن هؤلاء الممدوحين هم أهل بيعة الرضوان الذين بايعوه عليه الصلاة والسلام في الحديبية، كما يشعر به: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ لا سيما على القول بأن السورة بتمامها نزلت عند منصرفه عليه الصلاة والسلام من الحديبية قبل أن يتفرقوا عنه صلى الله تعالى عليه وسلم، كان سقوط ذلك الزعم أبين وأبين، لأن الارتداد الذي يزعمونه كان لترك مبايعة عليّ كرم الله تعالى وجهه بعد وفاة رسول الله ﷺ، مع العلم بالنصّ على خلافته بزعمهم، ومبايعة أبي بكر رضي الله تعالى عنه.

وكيف يكون ذاك ارتدادًا، والله عزَّ وجلَّ حين رضي عنهم علم أنهم يفعلونه.

والقول بأنه سبحانه إنما رضي عن مبايعتهم أو عنهم من حيث المبايعة، ولم يرض سبحانه عنهم مطلقًا لأجلها خلافُ ظاهر الآية، والظاهر ما نُفي، ولا يعكر عليه صدور بعض المعاصي من بعضهم بعد، وإنما يعكّر صدور ما لا يجامع الرضا أصلًا كالارتداد والعياذ بالله تعالى. وبالجملة جَعْل «من» للتبعيض ليتم للشيعة ما زعموه مما يأباه الكتاب والسنة وكلام العترة»[1].

**رابعًا:** صدور المعاصي من بعض الصحابة لا ينافي العدالة، بل ينافي العصمة، وهم ليسوا معصومين رضي الله عنهم أجمعين، وقد قال النبي

(١) روح المعاني (٢٥/ ١٢٨).

ﷺ: «كلُّ بني آدم خطّاء، وخير الخطائين التوابون»[١]، فهم ﷺ يخطئون ويصيبون، وأخطاؤهم مغمورة في بحار حسناتهم[٢].

وقد يجتهدون فيخطئون فيكون لهم أجر الاجتهاد، وقد ذكرنا ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة بما يغني عن الإعادة.

هـ- أما قوله تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح:١٠]، وقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور:٥٥] فليس فيه دليل على حصول النكث والكفر من هؤلاء، وإنما هو على طريقة القرآن في التهديد والوعيد لمن ينقلب على عقبيه، وقد قال الله تعالى في حق نبيّه ﷺ، وهو أبعد الخلق عن المخالفة والنكث: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [الحاقة:٤٤-٤٦].

وقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥]، وهو ﷺ أبعد الناس عن الشرك، بل هو معلم البشرية التوحيد وإخلاص العبودية لله عزَّ وجلَّ. وكذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب:١].

***

(١) أخرجه الترمذي رقم (٢٤٩٩) كتاب صفة القيامة، باب (٤٩). وابن ماجه رقم (٤٢٥١) كتاب الزهد، باب ذكر التوبة. وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (٤٥١٥).

(٢) حقبة من التاريخ (ص:١٢٧).

## الخاتمة

الحمد لله على توفيقه وإعانته وتيسيره وأسأل الله أن يجعلني وكل من قرأ هذا البحث من أتباع نبينا محمد ﷺ بإحسان وأنصار صحابته الكرام السائرين على دربهم المتصفين بصفاتهم.

وإني لأرجو أن يكون هذا البحث لبنة تتبعها لبنات في التفسير التحليلي لمعاني الآيات الواردة في رسولنا محمد ﷺ، وصحابته الأطهار للإسهام في بيان مكانتهم عند ربهم وعظيم ما وعدهم به من فوق سبع سموات، وإيضاح معالم منهجهم للاقتداء والعمل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

## ثبت المصادر والمراجع

١- **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة:** شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، دار الكتب العلمية، ط١.

٢- **أحكام القرآن:** لأبي بكر محمد المعروف بابن العربي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر.

٣- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:** لمحمد الأمين الجكني الشنقيطي، دار الفكر بيروت ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٤- **إعراب القراءات الشواذ:** لأبي البقاء العكبري، تحقيق محمد السيد عزوز، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٥- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل:** عبد الله بن عمر البيضاوي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٩م.

٦- **بحر العلوم:** نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، دار الفكر، بيروت ـ تحقيق، د. محمود مطرحي.

٧- **البحر المحيط:** لأبي حيان الأندلسي تحقيق عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب ٤٤، ٥٤، ٥٧، ٦١، ٦٢، ٩٧، العلمية بيروت، الأولى ١٤١٣-١٩٩٣م.

٨- **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد:** لابن عجيبة الحسني، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٢م.

٩- **بشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ:** محمد أحمد عبد القادر ملكاوي، مطابع الفرزدق التجارية، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

١٠- **تاريخ مدينة دمشق**: لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، تحقيق عمرو غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت ١٩٩٥م.
١١- **التبيان الجامع لعلوم القرآن**: محمد بن الحسن الطوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٢- **التحرير والتنوير**: للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع تونس ١٩٩٧م.
١٣- **تفسير القرآن العظيم**: لابن كثير دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.
١٤- **تفسير القرآن للتستري**: للإمام محمد سهل بن عبد الله التستري، علق عليه محمد باسل عيون السود ـ ٧٤ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٧-١٤٢٨هـ.
١٥- **تفسير القرآن**: لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد الرازي، المكتبة العصرية، صيدا، تحقيق أسعد محمد الطيب.
١٦- **تفسير القرآن**: للعز بن عبد السلام (اختصار النكت والعيون للماوردي) تحقيق الدكتور عبد الله الوهيبي نشر المحقق، ط١ ١٤١٦ ـ١٩٩٦م.
١٧- **تفسير القرآن**: للفيروزآبادي المسمى تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١٨- **تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة**: سلطان محمد الجنابذي، مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي.
١٩- **تفسير حدائق الروح والريحان**: محمد الأمين بن عبد الله الأُرمى الشافعي، دار طوق النجاة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١.

٢٠- **تفسير روح البيان:** للشيخ إسماعيل حقي البروسوي، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، السابعة ١٤٠٥-١٩٨٥م.
٢١- **تفسير عبد الرزاق:** الصنعاني، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٩م، بيروت، لبنان، تحقيق محمود محمد عبده.
٢٢- **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان:** لنظام الدين الحسين ابن محمد القمي النيسابوري، تحقيق الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤١٦-١٩٩٦م.
٢٣- **تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن،** الفضل بن الحسن الطبرسي، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٥٤هـ.
٢٤- **تقريب النشر في القراءات العشر،** لشمس الدين بن علي ابن الجزري، تحقيق عطوة عوض، طبعة الحلبي، القاهرة.
٢٥- **تيسير التفسير للقرآن الكريم:** محمد بن يوسف إطفيش، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.
٢٦- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:** عبد الرحمن بن ناصر السعدي مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٢٧- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن:** لأبي جعفر الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٢٨- **الجامع لأحكام القرآن:** لأبي عبد الله القرطبي دار الشعب، القاهرة.
٢٩- **جواهر الأفكار ومعادن الأسرار:** لعبد القادر بن بدران الحنبلي، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٣٠- **الجواهر الحسان في تفسير القرآن:** للشيخ عبد الرحمن بن مخلوف

الثعالبي تحقيق محمد الفاضلي المكتبة العصرية، بيروت، الأولى ١٤١٧-١٩٩٧م.

٣١- **حجة القراءات**: الإمام أبو زرعة عبد الرحمن بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤١٨-١٩٩٧م.

٣٢- **حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**: محمد الأمين العلوي الهرري الشافعي، دار طويق النجاة، ١٤٢٠هـ.

٣٣- **حقائق التفسير**: لأبي عبد الرحمن محمد السلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ط١، تحقيق سيد عمران.

٣٤- **حقبة من التاريخ**: عثمان بن محمد الخميس، ط٢، ١٤٢٤هـ بدون ناشر.

٣٥- **الخوارج**: د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الوطن، الرياض، ط٢، شعبان ١٤١٧هـ.

٣٦- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**: لأحمد بن يوسف المعروف بالثمين الحلبي دار القلم ـ دمشق، الأولى ١٤١٤-١٩٩٣م.

٣٧- **الدر المنثور**: جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣.

٣٨- **ديوان جرير**: جرير بن عطية بن حذيفة، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، تحقيق عمر فاروق الطباع.

٣٩- **الرحيق المختوم**: بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، صفي الرحمن المباركفوري، دار الفكر، ط١، ٢٠٠٢م.

٤٠- **روح البيان في تفسير القرآن**: لإسماعيل حقي البروسوي، دار الفكر.

٤١- **روح المعاني لشهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي**: دار إحياء

التراث العربي ـ بيروت، الرابعة ١٤٠٥-١٩٨٥م.
٤٢- **روضة الأنوار في سيرة النبي المختار**: صفي الرحمن المباركفوري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٤٣- **زاد المسير في علم التفسير**: أبو الفرج ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٤٤- **زاد المعاد في هدي خير العباد**: لابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت، ١٤٠٧-١٩٨٦، ط١٤، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط.
٤٥- **سنن ابن ماجه**: لمحمد بن يزيد أبي عبدالله القزويني، دار الفكر، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
٤٦- **سنن الترمذي** (الجامع الصحيح): لمحمد بن عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين.
٤٧- **سنن النسائي** (الكبرى): دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١-١٩٩١، ط١، تحقيق د. الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي.
٤٨- **السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون**، علي الحلبي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ.
٤٩- **السيرة النبوية في ضوء القرآن الكريم والسنة**: د. محمد محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٥٠- **صحيح البخاري**: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغار دار ابن كثير، بيروت ط٣، ١٤٠٧-١٩٨٧م.

٥١- **صحيح الجامع الصغير وزيادته**: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٦-١٩٨٦م.
٥٢- **صحيح مسلم بشرح النووي**: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
٥٣- **صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري**: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٤- **الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة**: لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، تحقيق عبد الرحمن التركي وكامل الخراط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ ١٤١٧-١٩٩٧م.
٥٥- **العقيدة الواسطية**: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق أشرف عبدالمقصود ـ دار أضواء السلف، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠-١٩٩٩م.
٥٦- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**: لحسن بن محمد النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ط١، تحقيق الشيخ زكريا عميران.
٥٧- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**: محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، ط٣، ٢٠٠٦م.
٥٨- **الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية**: لسليمان بن عمر الشهير بالجمل، دار الكتب العلمية، ط١، ضبط إبراهيم شمس الدين.
٥٩- **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة**: محمد بن علي الشوكاني

تحقيق عبد الرحمن المعلمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٦٠- **القراءات وأثرها في التفسير والأحكام**: محمد بن عمر بازمول، دار الهجرة، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٦١- **كتاب معاني القراءات**: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٦٢- **الكشاف**: محمود بن عمر الزمخشري، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٦٧هـ.

٦٣- **كشف المشكلات وإيضاح المعضلات**: لجامع العلوم الأصبهاني الباقولي، تحقيق محمد أحمد الدالي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤١٥هـ.

٦٤- **الكشف والبيان في تفسير القرآن**: لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٤-١٤٢٥هـ.

٦٥- **لباب التأويل في معاني التنزيل**: علاء الدين علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن ٣٤، دار الكتب العلمية، بيروت الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٦٦- **لباب التأويل**: علاء الدين علي بن محمد البغدادي الخازن، دار الفكر، بيروت.

٦٧- **لباب الخيار في سيرة المختار**: مصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت.

٦٨- **اللباب في علوم الكتاب**: لأبي حفص عمرين علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق عادل عبد الموجود وعلى معوض، دار الكتب العلمية ـ بيروت الأولى ١٤١٩-١٩٩٨م.

٦٩- **لطائف الإشارات**: لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، تحقيق عبد اللطيف، حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٧٠- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٧١- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام**: شيخ الإسلام ابن تيمية، طبعة الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.

٧٢- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: لابن عطية، قطر، ط١، ١٤٠٩هـ.

٧٣- **مختصر إثبات نبوة محمد ﷺ**: محمد إبراهيم حجاج، المكتبة الإسلامية، عمان، ط١، ١٤٠٣هـ.

٧٤- **مختصر التحفة الاثني عشرية**: اختصار وتهذيب السيد محمود شكري الألوسي ـ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء سنة ١٤٠٤هـ.

٧٥- **مختصر منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية**: اختصره الشيخ عبد الله الغنيمان كنوز أشبيليا للنشر والتوزيع ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.

٧٦- **المستدرك**: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٧٧- **معالم التنزيل**: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة للنشر، الرياض، الطبعة الرابعة ١٤١٧-١٩٩٧م، ٢٧، ٤٧، ٧١
٧٨- **معجم البلدان**: ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر، بيروت.
٧٩- **معاني القراءات**: لأبي منصور الأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٩م، تحقيق أحمد فريد المزيدي.
٨٠- **المعجم الأوسط**: للطبراني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ تحقيق طارق عوض الله.
٨١- **المعجم الصغير**: للطبراني، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان ١٤٠٥هـ ط١، تحقيق محمد شكور محمود الحاج.
٨٢- **المعجم الكبير**: سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، ط٢، ١٤٠٤-١٩٨٣م.
٨٣- **المعجم الكبير**: للطبراني، مكتبة الزهراء،الموصل، ١٤٠٤-١٩٨٣، ط٢، تحقيق حمدي السلفي.
٨٤- **مفاتيح الغيب**: فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت الأولى ١٤١١-١٩٩٠م، ص٢٥، ٢٦، ٢٧.
٨٥- **مقدمة في أصول التفسير**: لابن تيمية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
٨٦- **مناظرة جعفر الصادق**: تحقيق علي الشبل، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٨٧- **المنثور في القواعد**: بدر الدين محمد الزركشي، دار الكتب العلمية،

بيروت، ٢٠٠٠م، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل.
٨٨- **منهج ابن بدران في تفسيره «جواهر الأفكار»**: د. عادل بن علي الشدِّي، طبعة جامعة أم القرى ١٤٢٥-٢٠٠٤م.
٨٩- **الموضوعات**: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق توفيق حمدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٩٠- **الميزان في تفسير القرآن**: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة آل البيت الملكية وللفكر الإسلامي، وطبعة دار الأعلمي، بيروت، ط٢، ١٣٩٤هـ.
٩١- **نبوة محمد من الشك إلى اليقين**: د. فاضل السامرائي، دار عمار، الأردن، ط١، ١٤٢٥-٢٠٠٤م.
٩٢- **النشر في القراءات العشر**: محمد بن محمد بن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت.
٩٣- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**: برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعيْ، المكتبة ٢٩ التجارية، مكة المكرمة، الطبعة الثانية ١٤١٣-١٩٩٢م.
٩٤- **النكت والعيون**: **لأبي الحسن الماوردي**، تحقيق السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون سنة طبع.
٩٥- **نور اليقين في سيرة سيد المرسلين**: محمد الخضيري، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٩٦- **هميان الزاد إلى دار المعاد**: ليوسف إطفيش، نشر وزارة التراث القومي، عمان، ١٩٨٠م.

٩٧- **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**: للواحدي أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

٩٨- **الوفا بأحوال المصطفى**: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي دار الكتب العلمية، بيروت ط الأولى ١٩٨٨-١٤٠٨هـ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

***

# فهرس الموضوعات

**الموضوع** **الصفحة**

المقدمة ..... ٣
المبحث الأول: تفسير عام لمعنى الآية ..... ١١
المبحث الثاني: أقوال المفسرين في الآية ..... ٢٩
المبحث الثالث: القراءات في الآية ..... ٤١
■ المطلب الأول: القراءات العشرية ..... ٤٢
■ المطلب الثاني: القراءات الشاذة ..... ٤٦
المبحث الرابع: اللغة في الآية ..... ٥٠
المبحث الخامس: أقوال بعض مفسري الفرق في معنى الآية ٦٠
■ المطلب الأول: اتجاهات بعض مفسري الصوفية في الآية ٦٠
■ المطلب الثاني: موقف الأباضية الخوارج من الآية ..... ٦٥
■ المطلب الثالث: موقف الرافضة الإمامية من الآية ..... ٧٧
الخاتمة ..... ٩١